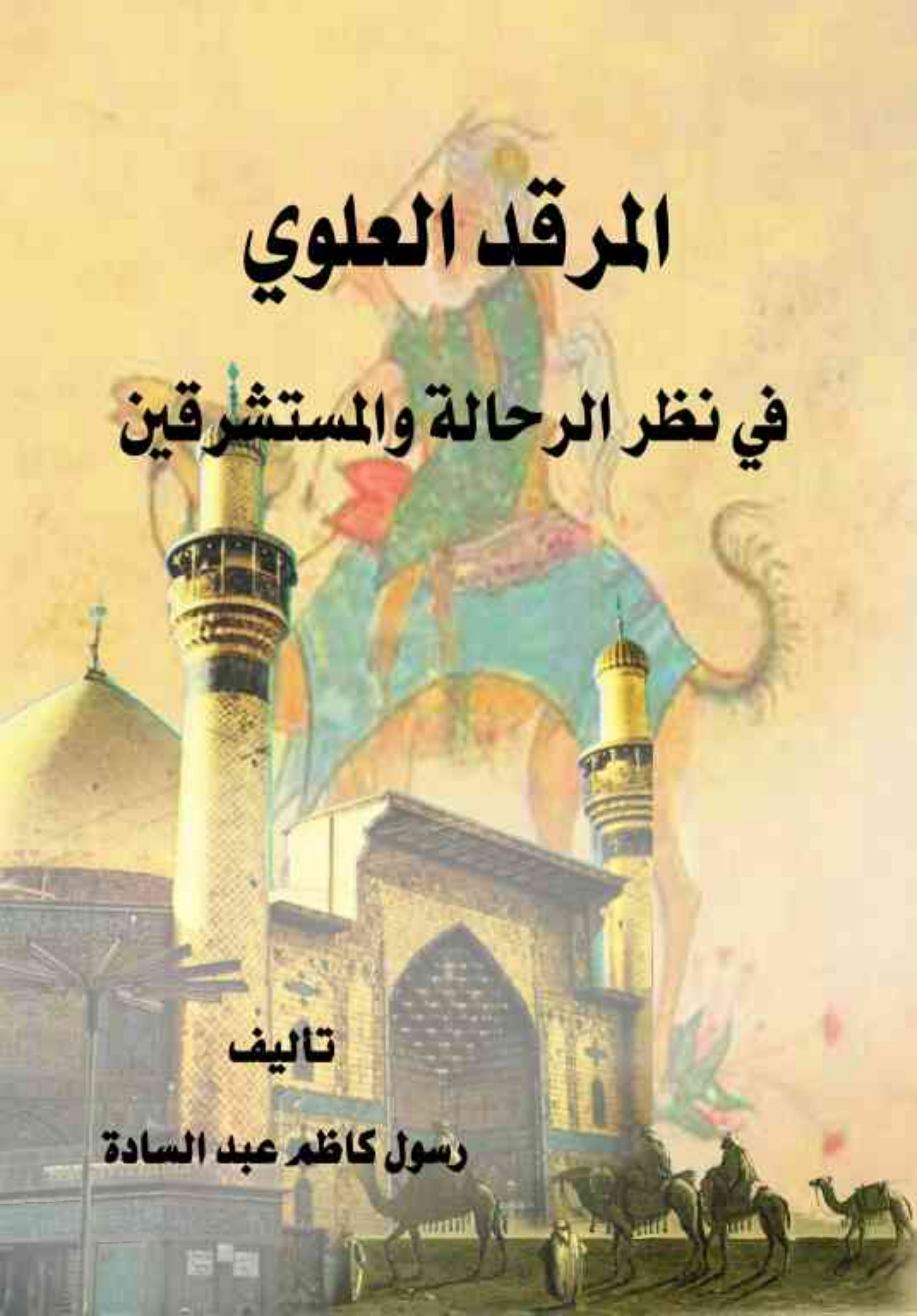


المرقد العلوي

في نظر الرحالة والمستشرقين

تاليف

رسول كاظم عبد السادة

المرقد العلوي
في نظر الرحالة والمستشرقين



رسول كاظم عبد السادة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

لعل أدب الرحلة بمفهومه ، هو فن التعبير عن مشاعر تختلج فى نفس الأديب المغترب تجاه كل ما يراه ويعايشه ويقرأه عن ملامح بلد أجنبى بعادات، وتقاليد سكانه، وخلفيته السياسية والثقافية والإجتماعية وأحداث يعايشها الأديب ومواقف تأثر بها، وهموم عانى منها في ذلك البلد الأجنبي طالت أم قصرت مدة إقامته فيها، والتعبير عن كل ذلك بأسلوب أدبي شائق يغري القارىء بمواصلة القراءة من أول لآخر سطر، دون ملل أو كلل.

وتعتبر كتب الرحلات أحد المصادر المهمة في الدراسات التاريخية، وبخاصة التاريخ الحديث، لما تحتويه من معلومات مهمة عن النواحي الاقتصادية والاجتماعية والإدارية والجغرافية

إذا تأملنا سيرة الرحالة الغربيين الأوائل سنلاحظ أنهم كانوا يقومون برحلاتهم رغبة في الحصول على المال والذهب والعطايا الملكية التي يمكن أن تعود عليهم من وراء كشف جغرافي جديد، كما كان يتمنى كريستوفر كولومبوس الإيطالي عندما كان يسعى للوصول إلى الهند طمعا في كنوزها، فوصل إلى جزر الكاريبي في القرن الخامس عشر، وظن خطأً أنها الهند.

أما الرحالة المعاصرون سواء كانوا عربا أو غربيين، فهم كتاب بالدرجة الأولى قد تسوقهم الظروف إلى بلاد معينة، فيكتبون عنها، وإما يسافرون إلى أماكن بعينها خصيصا لدراستها والكتابة عنها.

ولقد حضيت بلاد الشرق بكثرة الرحالة الذين يفدون اليها لاسيما في اواخر ايام الدولة العثمانية ولما كان الرحالة يمرون بهذه البلاد فكان اكثر ما تستوقفهم المدن

الكبيرة والمعالم المشهورة رغبة منهم في مشاهدتها عن قرب والاطلاع على عمارتها وكنوزها وتقاليد اهلها

ومن ابرز معالم العراق الاثرية والدينية الباقية حتى الان هو مرقد الامام علي بن ابي طالب في النجف الاشرف هذا المرقد الذي كان ولا يزال مطمح كل زائر ومستشرق واديب يدخل هذه البلد، فنجد الوزراء والملوك والامراء والعلماء حالما ياتون الى العراق يسارعون في زيارته والتشرف بلثم اعتابه

وفي هذه الاوراق المتواضعة تابعنا بعض ممن توفر لنا على قلة الجهد هؤلاء الرحالة والمستشرقين ممن توقف عنده وسجل وصفا له او خصه باشاره معينة لنفتح بابا في تاريخ النجف والمرقد العلوي المطهر ، ورغم ان بعظهم كانت لهم اراء لاتناسب الاعتقاد لم نشا حذفها ولا اطالة البحث بالتعليق عليها تاركين ذلك لمن يرغب

نسسال الله ان نكون قد وفقنا في هذا العرض لرحلات هولاء الرحالة واراء المستشرقين في المعلم التاريخي العظيم المرقد العلوي وصاحبه صلوات الله عليه والحمد رب العالمين اولا واخرا وظاهرا وباطنا

١ – الرحالة ابن بطوطة

(سنة ٧٥٦ هـ)

هو : محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي ، أبو عبد الله ، ابن بطوطة(٧٠٣ – ٧٧٩ هـ = ١٣٠٤ – ١٣٧٧ م): رحالة، مؤرخ . ولد ونشأ في طنجة Tanger بالمغرب الأقصى . وخرج منها سنة ٧٢٥ هـ ، فطاف بلاد المغرب ومصر والشام والحجاز والعراق وفارس واليمن والبحرين وتركستان وما وراء النهر وبعض الهند والصين والجاوة وبلاد التتر وأواسط إفريقية . واتصل بكثير من الملوك والأمراء ، فمدحهم – وكان ينظم الشعر – واستعان بهباتهم على أسفاره . وعاد إلى المغرب الأقصى ، فانقطع إلى السلطان أبي عنان (من ملوك بني مرين) فأقام في بلاده . وأملى أخبار رحلته على (محمد ابن جزي) الكلبي بمدينة فاس سنة ٧٥٦ وسماها (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الاسفار – ط) ترجمت إلى اللغات البرتغالية والفرنسية والانكليزية ، ونشرت بها ، وترجمت فصول منها إلى الألمانية نشرت أيضا . وكان يحسن التركية والفارسية . واستغرقت رحلته ٢٧ سنة (١٣٢٥ – ١٣٥٢) ومات في مراكش . وتلقبه جمعية كمبردج في كتبها وأطالسها بأمير الرحالين المسلمين Prince of moslems travellers وفي نابلس (بفلسطين) أسرة ، الآن ، تدعى (بيت بطبوط) وتعرف ببيت المغربي وبيت كمال ، تقول إنها من نسل ابن بطوطة (١)

---

(١) الأعلام ج ٦ ص ٢٣٥،الدرر الكامنة ٣ : ٤٨٠ ودائرة المعارف الاسلامية ١ : ٩٩ والرحالة المسلمون ١٣٦ – ١٧١ وسماه الزبيدي ، في التاج ٥ : ١٠٩ (محمد بن علي) ذكر عن رحلته أن ابن جزي جمعها في كتاب حافل ، اختصره محمد بن فتح الله البيلوني في جزء صغير



ابن بطوطة

وقال في رحلته التي فرغ منها سنة ٧٥٦ هـ ستة وخمسين وسبعمائة في ذكر وروده من مكة إلى مشهد مولانا علي بن أبي طالب عليه السلام . ذكر الروضة والقبور التي بها ، ويدخل من باب الحضرة إلى مدرسة عظيمة يسكنها الطلبة

والصوفية من الشيعة ، ولكل وارد ضيافة ثلاثة أيام من الخبز واللحم والتمر مرتين في اليوم ، ومن تلك المدرسة يدخل إلى باب القبة ، وعلى بابها الحجاب والنقباء والطواشية ، فعندما يصل الزائر يقوم إليه أحدهم أو جميعهم – وذلك على قدر الزائر – فيقفون معه على العتبة ، ويستأذنون له ، ويقولون : عن أمركم يا أمير المؤمنين ، هذا العبد الضعيف يستأذن على دخوله للروضة العلية ، فإن أذنتم له ، وإلا رجع ، وإن لم يكن أهلا لذلك ، فأنتم أهل المكارم والستر ، ثم يأمرونه بتقبيل العتبة وهي من الفضة ، وكذلك العضادتان ، ثم يدخل القبة ، وهي مفروشة بأنواع البسط من الحرير وسواه ، وبها قناديل الذهب والفضة ، منها الكبار والصغار ، وفي وسط القبة مسطبة مربعة مكسوة بالخشب عليه صفائح الذهب المنقوشة المحكمة العمل مسمرة بمسامير الفضة ، قد غلبت على الخشب بحيث لا يظهر منه شئ ، وارتفاعها دون القامة ، وفوقها ثلاثة من القبور يزعمون أن أحدها قبر آدم عليه الصلاة والسلام ، والثاني قبر نوح عليه الصلاة والسلام ، والثالث قبر علي رضي الله عنه ، وبين القبور طسوت ذهب وفضة ، فيها ماء الورد والمسك ، وأنواع الطيب ، يغمس الزائر يده في ذلك ويدهن به وجهه تبركا . وللقبة باب آخر عتبته أيضا من الفضة ، وعليه ستور من الحرير الملون ، يفضي إلى مسجد مفروش بالبسط الحسان ، مستورة حيطانه وسقفه بستور الحرير ، وله أربعة أبواب ، عتبتها فضة وعليها ستور الحرير ، وأهل هذه المدينة كلهم رافضية . وهذه الروضة ظهرت لها كرامات ثبت بها عندهم ، إن بها قبر علي رضي الله عنه . فمنها : إن في ليلة السابع والعشرين من رجب – ويسمى عندهم ليلة المحيا – يؤتى إلى تلك الروضة بكل مقعد من العراقيين وخراسان وبلاد فارس والروم ، فيجتمع منهم الثلاثون والأربعون ونحو ذلك ، فإذا كان بعد العشاء الآخرة جعلوا عند الضريح المقدس ، والناس ينتظرون قيامهم ، وهم ما بين مصل وذاكر وتال ومشاهد للروضة ، فإذا مضى من الليل نصفه ، أو ثلثاه أو نحو ذلك ، قام الجميع أصحاء من غير سوء ، وهم يقولون : لا إله إلا الله محمد رسول الله علي ولي الله

. وهذا أمر مستفيض عندهم سمعته من الثقات ، ولم أحضر تلك الليلة ، لكني رأيت بمدرسة الضياف ثلاثة من الرجال ، أحدهم من أرض الروم ، والثاني من إصبهان ، والثالث من خراسان ، وهم مقعدون ، فاستخبرتهم على شأنهم ، فأخبروني أنهم لم يدركوا ليلة المحيا ، وأنهم ينتظرون أوانها من عام آخر . وهذه الليلة يجتمع لها الناس من البلاد ويقيمون سوقا عظيمة ، مدة عشرة أيام (٢)

---

(٢) رحلة ابن بطوطة : ص ١٤٧

٢ - ابن جبير
(٥٨١ هـ)

محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي ، أبو الحسين(٥٤٠ - ٦١٤ هـ = - ١١٤٥ - ١٢١٧ م) : رحالة أديب . ولد في بلنسية (Valence) ونزل بشاطبة ، وبرع في الأدب ، ونظم الشعر الرقيق ، وحذق الاقراء ، وأولع بالترحل والتنقل فزار المشرق ثلاث مرات إحداها سنة ٥٧٨ - ٥٨١ هـ ، وهي التي ألف فيها كتابه رحلة ابن جبير - ط ومات بالإسكندرية في رحلته الثالثة . ويقال : إنه لم يصنف كتاب رحلته وإنما قيد معاني ما تضمنته فتولى ترتيبها بعض الآخذين عنه ، ومن كتبه نظم الجمان في التشكي من إخوان الزمان وهو ديوان شعره ، على قدر ديوان أبي تمام ، و نتيجة وجد الجوانح في تأبين القرن الصالح مجموع ما رثى به زوجته أم المجد (٣)

وصول ابن جبير الى النجف

قال في رحلته :ثم نزلنا ضحوة يوم الثلاثاء بعده بواقصة، وهي وهدة من الأرض منفسحة فيها مصانع للماء مملوءة وقصر كبير وبإزائه أثر بناء، وهي معمورة بالأعراب، وهي آخر مناهل الطريق، وليس بعدها الكوفة منها مشهور الا مشارع ماء الفرات، ومنها الكوفة ثلاثة أيام، وبها يتلقى الحاج كثير من أهل الكوفة وهم

---

(٣)الأعلام ج ٥ ص ٣١٩ ،نفح الطيب ١ : ٥١٥ و ٥٧٥ وشذرات الذهب ٥ : ٦٠ وغاية النهاية ٢ : ٦٠ ودائرة المعارف الاسلامية ١ : ١١٦ ورحلة ابن جبير: مقدمات طبعة ليدن سنة ١٩٠٧ وجذوة الاقتباس ١٧٢ والإحاطة ٢ : ١٦٨ وفي زاد المسافر ٧٢ نماذج من شعره . وللدكتور محمد مصطفى زيادة " محاضرة " أوجز بها رحلة ابن جبير في ٢٢ صفحة ، نشرها بيت المغرب ، في القاهرة ، سنة ٩٣٩ ، (٤٧٨) ٦٢٩ : 2) . I . Brock 879 : I . S) بغية الرواد ٢٧ وتعريف الخلف ٢ : ٣٥٢ .

مستجلبون إليهم الدقيق والخبز والتمر والأدم والفواكه الحاضرة في ذلك الوقت. وينهئ الناس بعضهم بعضاً بالسلامة، والحمد لله عز وجل، على مامن به من التيسير والتسهيل حمداً يستوجب المزيد، وستصحب من كريم صنعه المعهود.وبتنا ليلة الأربعاء السادس والعشرين بموضع يعرف بلورة، وفيها مصنع كبير وجده الناس مملوءاً فجددوا الاستسقاء ورفهوا الإبل. ثم أسرينا منها، وأجزنا سحر يوم الأربعاء المذكور بموضع يعرف بلورة، وفيها مصنع كبير وجده الناس مملوءاً فجددوا الاستسقاء ورفهوا الإبل. ثم أسرينا منها، وأجزنا سحر يوم الأربعاء المذكور بموضع فيه آثار بناء يعرف بالقرعاء، وفيه أيضاً مصنع ماء، وله ستة مخازن، وهي صهاريج صغار، تؤدي الماء المصانع، استقى الناس فيها وسقوا. وكثرت المصانع حتى لاتكاد الكتب تحصرها ولا تضبطها، والحمد لله على منته وسابغ نعمته.

وبتنا ليلة الخميس بعده على مصنع عظيم مملوء ماء، ثم نزلنا ضحوة اليوم المذكور بمنارة تعرف بمنارة القرون، وهي منارة في بيداء من الأرض، لابناء حولها قد قامت في الأرض كأنها عمود مخروط من الآجر، وقد تداخل فيها من الخواتيم الآجرية مثمنة ومربعة أشكال بديعة. ومن غريب أمرها أنها مجللة كلها قرون غزلان مثبتة فيها، فتلوح كظهر الشيهم. وللناس فيها خبر يمنع ضعف سنده من اثباته. وعلى مقربة من هذه المنارة قصر ذو بروج مشيدة، وبإزائه مصنع عظيم وجد مملوءاً ماءً، والحمد لله على مامن به.

واجتزنا عشي يوم الخميس المذكور على العذيب، وهو وادٍ خصيب، وعليه بناء، وحوله فلاة خصيبة، فيها مسرح للعيون وفرجه. وأعلمنا أن بمقربة منه بارقاً. ووصلنا منه الرحبة، وهي مبقربة منه، وفيها بناء وعمارة، ويجري الماء فيها من عين نابعة في أعلى القرية المذكورة. وبتنا أمامها بمقدار فرسخ، ثم أسرينا ليلة الجمعة الثامن والعشرين لمحرم المذكور نصف الليل واجتزنا على القادسية، وهي قرية

كبيرة، فيها حدائق من النخيل، ومشارع من ماء الفرات وأصبحنا بالنجف، وهو يظهر الكوفة كأنه حدبينها وبين الصحراء، وهو صلب من الأرض منفسح متسع، للعين فيه مراد استحسان وانشراح. ووصلنا الكوفة مع طلوع الشمس من يوم الجمعة المذكور، والحمد لله على ما أنعم به من السلامة.

ذكر مدينة الكوفة

هي مدينة كبيرة عتيقة البناء، قد استولى الخراب على أكثرها، فالغامر منها أكثر من العامر. ومن أسباب خرابها قبيلة خفاجة المجاورة لها، فهي لا تزال تضربها، وكفاك بتعاقب الأيام والليالي محيياً ومنفنياً. وبناء هذه المدينة بالآجر خاصة، ولا سور لها. والجامع العتيق آخرها ممايلي شرقي البلد، ولا عمارة تتصل به من جهة الشرق. وهو جامع كبير، في الجانب القبلي منه خمسة أبلطة، وفي سائر الجوانب بلاطان. وهذه البلاطات على أعمدة من السواري الموضوعة من صم الحجارة، المنحوتة قطعة على عطعة، مفرغة بالرصاص، ولا قسي عليها، على الصفة التي ذكرناها في مسجد رسول الله، صلى الله عليه وسلم الله عليه وسلم، وهي نهاية الطول، متصلة بسق السمجد، فتحار العيون في تفاوت ارتفاعها. فما أرى في الأرض مسجداً أطول منه ولا أعلى سقفاً.

وبهذا الجامع المكرم آثار كريمة: فمنها بيت بإزاء المراب عن يمين المستقبل القبلة، يقال: انه كان مصلى الله عليه وسلم ابراهيم الخليل، صلى الله عليه وسلم الله عليه وسلم، وعليه ستر أسود صوناً له، ومنه خرج الخطيب لابساً ثياب السواد الخطبة. فالناس يزدحمون على هذا الموضع المبارك للصلاة فيه. وعلى مقربة منه، ممايلي الجانب الأيمن من القبلة، محراب محلق عليه بأعواد الساج مرتفع عن صحن البلاط كأنه مسجد صغير، وهو محراب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، وفي ذلك الموضع ضربه الشقي اللعين عبد الرحمن بن ملجم بالسيف،

فالناس يصلون فيه باكين داعين. وفي الزاوية من آخر هذا البلاط القبلي، المتصل بأخر البلاط الغربي، شبيه مسجد صغير محلق عليه أيضاً بأعواد الساج، هو موضع مفار التنور الذي كان آية لنوح، عليه السلام، وفي ظهره، خارج المسجد، بيته الذي كان فيه، وفي ظهره بيت آخر يقال إنه كان متعبد إدريس، صلى الله عليه وسلم الله عليه وسلم، ويتصل بهما فضاء متصل بالجدار القبلي من المسجد، يقال إنه منشأ السفينة. ومع آخر هذا الفضاء دار علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، والبيت الذي غسل فيه. ويتصل به بيت يقال إنه كان بيت ابنة نوح، صلى الله عليه وسلم الله عليه وسلم.وهذه الآثار الكريمة تلقيناها من ألسنة أشياخ من أخل البلد فاثبتناها حسبما نقلوها إلينا، والله أعلم بصحة ذلك كله.

وفي الجهة الشرقية من الجامع بيت صغير يصعد إليه فيه قبر مسلم بن عقيل بن أبي طالب، رضي الله عنه. وفي جوفي الجامع على بعد منه يسير سقاية كبيرة من ماء الفرات فيها ثلاثة أحواض كبار.

وفي غربي المدينة على مقدار فرسخ منها المشهد الشهير الشأن المنسوب لعلي ابن أبي طالب، رضي الله عنه، وحيث بركت ناقته وهو محمول عليها مسجى ميتاً على مايذكر. ويقال: إن قبره فيه، والله أعلم بصحة ذلك. وفي هذا المشهد بناء حفيل على ماذكر لنا، لأنالم نشاهده بسبب أن وقت المقام بالكوفة ضاق عن ذلك، لأنالم نبت فيها سوى ليلة يوم السبت. وفي غدائه رحلنا ونزلنا قريب الظهر على نهر منسرب من الفرات. والفرات من الكوفة على مقدار نصف فرسخ مما يلي الجانب الشرقي. والجانب الشرقي كله حدائق نخيل ملتفة يتصل سوادها ويمتد امتداد البصر. ورحلنا من ذلك الموضع وبتنا ليلة الأحد منسلخ محرم بمقربة من الحلة ثم جئناها يوم الأحد المذكور(٤)

---

(٤) رحلة ابن جبير ص

٣- الرحالة لوفتس

(سنة ١٨٤٩ م)

هو وليم بن كنت لوفتس (William kenne loftus) ولد بتاريخ ٦/٢/ ١٢٣٦هجرية/ ١٣/١١/١٨٢٠ م وتوفي بتاريخ ٢٠/٤/ ١٢٧٥هجرية- بين ٢٧/ ١١/١٨٥٨م وذلك في الباخرة التي كانت متوجهة من الهند الى بلاده كان عضوا دوليا في لجنة ترسيم الحدود الدولية وتثبيتها بين العراق وايران وقد رافقه درويش باشا العضو التركي في لجنة ترسيم الحدود الدولية وطاهر بك الحاكم العسكري في الحلة مع ثلة من الجنود العثمانيين وهو الذي اكتشف مدينة اور في العراق سنة ١٢٥٦ هجرية/ ١٨٤٠ م وكان م العلماء الاثاريين والمستشرقين عنوان رحلته(سياحة تنقيب في كلدة والسوس

في السنة هذه زار النجف الاشرف الرحالة الانكليزي لوفتس ، وهو عضو من اعضاء لجنة الحدود العراقية الايرانية التي عملت على تثبيتها سنة ١٨٤٩ هجرية .

وقد جاء الى النجف في صيف السنة المذكورة من الحلة ، وفي معيته درويش باشا متصرف لواء الحلة ، وطاهر بك الحاكم العسكري فيها ، مع ثلة من الجنود الاتراك .

وهو يقول في هذا الشان : انه من النادر ان تسنح لاي مسيحي الفرصة للدخول الى اماكن عبادة المسلمين، ولا سيما في مكان مقدس مثل مشهد الامام علي .

وحينما ابدى فكرة الدخول الي طاهر بك وجدت تشيجعا منه على ذلك . ولما مرت جماعتهم بالسوق المؤدي الى الصحن ، كان الناس على عاداتهم الشرقية ينهضون للتحية ، فيردونها الدرويش وطاهر ، لكنهم كانوا ينظرون شزرا الى الافرنج . وقد تجمع حشد من الناس وراءهم ، وحينما قاربوا باب الصحن كانت التظرات التهديدية والهمسات الخافتة تدل على انهم كانوا اناسا غير مرغوب فيهم . لكن الجند اصطف في مدخل الصحن فاجتازوا من بينهم دون تردد .

واخذ لوفتس يصف الصحن وشكله من داخله والضريح المطهرل الموجود في وسطه مشيرا الى زينة القاشاني المحتويةعلى الرسوم المتناسقة . ثم يذكر ان هناك ثلاث ماذن ، كسيت الاثنان الاماميتان منها بالاجر المغلف بالذهب . وهذه مع القبة كانت تؤلف منظرا فخما يهجز عنه الوصف . وكانت القبة الكبرى المكسوة بالذهب وهي تتوهج في نور الشمس تبدو للرائي من بعيد وكانها تل من الذهب يقوم من البراري الممتدة من حوله .

ويذكر لوفتس ان الصحن كانت تباع فيه اشياء وحاجات كثيرة فيقارن ذلك بالمعبد في بيت المقدس الذي دخل اليه المسيح قبل ثمانية عشر قرنا فوجد الناس يبيعون فيه الثيران والاغنام ، والصرافين يتاجرون بالعلمة . وقد لفتت نظره على الاخص طيور الحمام الكثيرة في الصحن .

ولقدسية النجف هذه كان يقصدها الزوار الشيعة من جميع الانحاء على حد قوله ، وعلى هؤلاء كانت تعيش البلدة باجمعها ، وكان يقدر معدل عدد الزوار الذين كانوا يفدون عليها في كل سنة بمقدار (٨٠،٠٠٠) شخص ، كما يقدر عدد الجنائز التي كان يؤتى بها للدفن بشيء يتراوح بين (٥،٠٠٠) و (٨،٠٠٠) جنازة في السنة .

ثم يذكر الرحالة لوفتس ان توارد الزوار على النجف بكثرة قد اغناها غناء غير يسير في تلك الايام ، كما يستدل من التوسع الذي طرا عليها في تلك السنين والسور الجديد الذي انشئ لها . وكذلك يشير الى انه وجد ان نهرا كان يحفر لايصال الماء الى البلدة من الفرات وحل مشكلته ، والى فضول اهالي النجف وتجمعهم حول الاجانب القادمين من الخارج الى حد ان البعض كان ياتي باهله ونسائه للتفرج عليهم. (٥)

---

(٥)موسوعة العتبات المقدسة : ١ / ٢٣٤ – ٢٣٧ .

٤ - فرايا ستارك

(سنة ١٩٣٧م)

السائحة الصحفية المؤرخة الانكليزية فريا ستارك واحدة من بين أشهر الرحّالات الغربيات إللاتي جبن الشرق العربي خلال الربع الأول من القرن العشرين، عراق الثلاثينات في العهد الملكي،. كانت سائحة صحفية مؤرخة بالصور خاصة، زارت العراق وولعت به، كانت تتعاون مع الإدارة البريطانية، وتمكنت من خلال عملها في جمعية انكليزية التعاون مع اوساط الشرقيين، كانت هواية فريا ستارك التجول في العراق بعد ان زارت عمان ودمشق، وإقامة علاقات طيبة مع العراقيين وإحداث تغيير في الشعور الجماهيري لدى العراقيين. كان من الضروري التقرب إلى طبقات المجتمع ولهذا تقول فريا ستارك (شكلنا جهازاً سياسياً استشارياً بهدف محاربة إعلام العدو وخلق صداقة مع القادة وبصورة عامة لإبقاء النفوذ البريطاني في العراق). استطاع الضباط البريطانيون الموجودون في العراق أن يعملوا إلى جانب موظفي العلاقات العامة وقدموا الدعاية لمصلحة بريطانيا. كانت منظمة (اخوان الحرية Brothers of Freedom) التي اسستها فريا ستارك قد ساعدت في خلق علاقات مع الناس ليس في بغداد فقط بل في الالوية الأخرى. تمكنت فريا ستارك بشكل سريع من توثيق صلاتها بالمجتمع، لكنها عندما انتهت حاجة بريطانيا إلى خدماتها في المؤسسة التي أنشأتها حلتها. لعل من بين مقومات استحداث هذه المنظمات كان الدعم الكبير الذي حظيت به من الساسة العراقيين الذين تولوا الحكم في العراق كنوري السعيد وغرهم. غادرت فريا ستارك العراق لكنها استمرت على علاقاتها مع بعض القادة العراقيين ومنهم الامير عبدالإله الذي التقاها مرة أو أكثر في أوروبا. الواقع ان (منظمة اخوان الحرية) تحولت الى (منظمة

الماسونيين السرية) الانكليزية التي كان الكثير من الوزراء والنواب في البرلمان العراقي اعضاء فيها ثم انتهت بعد زوال الملكية.



زيارتها للنجف

وفي ١٩٣٧ زارت النجف الكاتبة الإنكليزية القديرة، والموظفة في الاستخبارات البريطانية، المس (فرايا ستارك) وبقيت فيها اسبوعاً واحداً ضيفاً على القائمقام الذي أنزلها في جناح الضيافة الموجود في نادي الموظفين. وقد كتبت فصلا خاصاً عن النجف ضمنته ملاحظاتها عنها في كتابها الموسوم وتبدأ ملاحظاتها بما شاهدته في الكوفة.

ثم تنتقل الى النجف فتقول :قد كان الإمام عليّ هنا يعمل للخير ويتمسك بالأُمور المثلى على حد تعبيرها، فأفنى نفسه وهو مريض الفؤاد ما بين أهل الكوفة المتلونين. وعلى مسافة غير بعيدة من هذه البقعة جعجع ابنه الحسين إلى جهة البادية وظل يتجول حتى نزل في كربلا، فقتل قتلة فظيعة مع أهل بيته بعد أن منع عنهم الماء. وقصة قتله هذه من القصص القليلة التي تقول (فرايا ستارك) إنها لا تستطيع قراءتها من دون أن ينتابها البكاء. وتقول أيضاً ان التاريخ قد توقف في كربلا والنجف منذ يوم مقتله ذاك، لأن الناس أخذوا يعيشون فيهما على ذكرى الكراهية لأعداء الحسين(٢).

وقد أخذت النجف محل الكوفة، على ماترى. ومع ان سكانها قد استقروا وتمدنوا فإنها لا تزال تعد من مدن البادية، المحاطة بسور خاص ترتفع هي في داخله فوق هضبة واطئة من الأرض كأنها تاج يعلوه ذهب القبة المتلألىء. وما زال بدو عنزة وشمر يقصدونها من رمال النفوذ البعيدة للتزود منها، بينما تسلك السيارات الطريق الممتدة منها إلى مكة، وهي طريق الحج المسماة

بإسم زبيدة .....وقد تجولت ما بين القبور في بعض الأُمسيات كذلك، وأمضت أُمسية واحدة منها في التفرج على ما يجري عند الباب الكبير المؤدي إلى الصحن فكانت من أجمل الأُمسيات التي قضتها في حياتها كلها. وكان ذلك من غرفة تعود للشرطة وتطل شبابيكها على باب الصحن وقسم من السوق. وبعد أن تصف ما شاهدته هناك وفي الداخل تقول إنها خرجت تقطع السوق الذي امتلأ بالأضوية، وهي تشعر بحبها للعالم بأجمعه. وبينما هي كذلك لاحظت في دكان بائع أحذية رجلا كان يرمقها بنظرات شزراء ممتلئة بالحقد والكراهية، فتأثرت أشد التأثر لأنها يحز في نفسها أن يكرهها أحد من دون سبب. وهي تقول: ان ذلك الرجل لو كان بوسعه أن يخترق جسمها الانكليزي بنظره إلى أعماق قلبها لوجد ان ما كان يمتلىء به هو الاحترام الودي لعتبته المقدسة بالذات التي تعلو أرواح الناس كما تعلو قبة النجف المذهبة فوق أُفق البادية، فتجذبهم إليها من بعيد

تنهي الفصل بوصف جماعة من فقراء الأفغان كانوا يعيشون على الكفاف، ويحصلون على قوتهم من حياكة بيوت الشعر، ثم ينتزع كلّ منهم فلساً واحداً من وارده الشحيح بين حين وآخر فيعطيه للانفاق على العتبة. وتعلق على ذلك بكل إكبار وإجلال قائلة: من نكون نحن لننتقد عقيدة تعطي مثل هذا المقدار ياترى؟.(٦)

---

(٦) Freya Stark - Baghdad Sketches, London 1937. المصدر ١٦٩، طبعة Cuild Books1947.

٥- جون بيتز
(سنة ١٨٩٠ م)

عالم اثار ورحالة امريكي ولد في نييورك ستي سنة ١٢٦٨ هجرية/ ١٨٥٢م وتوفي في مسقط راسه سنة ١٣٣٩ هجرية/ ١٩٢١ م رئيس بعثة بنسلفانيا للتنقيب عن الآثار القديمة في نفر (منطقة عفج) ، التي زارها في سنة ١٨٩٠ تولى التنقيب عن الاثار في منطقة نفر القريبة من بابل(الحلة) وسط العراق ، وهي اطلال مدينة نيبورالقديمة التي كانت العاصمة الدينية في عهد السومريين والبابلين ويذكر انها سميت بنفر لان كنعان بن نمرود نفرت به الجبال حين هبطت عليها النسور

بيتز يقبل السلسلة في باب المرقد العلوي

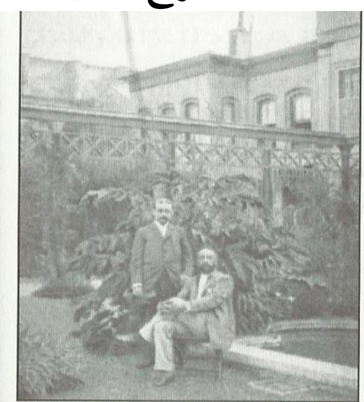
جاء إلى النجف من السماوة بعد أن كتب منها إلى (شاؤول) الصراف اليهودي في الحلة بتدبير شؤونه المالية وموافاته فيها .

وكان في معيته شخصان ارمينان يدعيان : (ارتين) و (نوريان) ، وقد استطاع خدامه العرب إدخالها معهم إلى داخل الصحن والحضرة المطهرة كذلك ، أحدهما بصفة زائر إيراني والأخر بصفة تركي من استانبول . ثم قص عليه (نوريان) جميع ما شاهده في الداخل . إذ قال له انه اجبر على تقبيل السلسلة الكبيرة وجانبي الباب الكبير . وحينما دخل إلى الصحن المحاط بالأروقة ألفى الجدران مزينة بالقاشاني ، والمرايا المنزلة بالفضة . ووجد أن مئذنتين كانتا مكسوتين بالذهب من علو قامة واحدة إلى القمة ، كما وجد الضريح في الداخل تعلوه القبة الكبرى المذهبة بذهب يأخذ بالأبصار . وبعد أن خلع هو ومن كان معه أحذيتهم دخلوا إلى الحضرة المطهرة يصحبهم عدد من الجنود ، ويتقدمهم سيد بعمامة خضراء . ثم يصف الزينة الفاخرة والقاشاني والفضة والمرايا التي كانت تدل كلها على فخامة بربرية على حد تعبيره . وتأتي كذلك أداء الزيارة وراء المزور ومسك الشباك ، لكنه يقول أنه كان على درجة متناهية من الاضطراب والخوف من افتضاح أمره . ولذلك لم يستطع ملاحضة جميع ما كان

يريد أن يلاحظه بالتمام ، وكذلك كان الآخرون ومن اجل هذا عزم على الدخول إلى الزيارة في اليوم الثاني ، لكنه صادف في السوق رجلا من تجار بغداد يعرفه تمام المعرفة فخشي من أن يشي به فلم يفعل .

ولما كان (بيترز) عالما من علماء الآثار القديمة فإنه يعتقد بأن العرب في المنطقة الجنوبية يعيشون عيشة البابليين قبل أربعة آلاف سنة في كثير من الأشياء . ويقارن بين الطقوس الدينية القديمة والحالية ، وبين ما يلاحظ في الوقت الحاضر من نقل الموتى ودفن جثثهم في الأماكن المقدسة ، ومن وجود (الأكشاك) في أبواب الصحن لبيع الكثير من الحاجات واللوازم ، وما كان يحصل في أبواب معبد (بيل) في (نفر) من قبل .

...وفي خان الحماد الذي نزل ليستريح فيه وجد رجلا من أهالي النجف يصطحب عددا من الزوار الايرانيين معه . فعلم منه أن خزائن النجف التي لا تقدر بثمن كانت تتألف في الحقيقة من خمس خزائن : واحدة للجواهر الثمينة والاعلاق النفيسة ، وأخرى للأموال ، وثالثة للسجاد والطنافس ، ورابعة للأسلحة الفاخرة ، وخامسة لأنواع ((البهارات)) (٧)



صورة جون بيترز (الواقف)
مع مدير المتحف الامبراطورية العثمانية
حمدي بك (الجالس)

---

(٧) **nippur or explorations and adventures on the Euphrates 1888- 1890 London g new York 1897 vol ii**

٦- ناصر الدين شاه القاجاري
(١٣ شهر رمضان ١٢٨٧ هـ)

ناصر الدين شاه قاجار (١٢٤٧ - ١٣١٣) من ملوك القاجار ، وقد حكم إيران في الأعوام (١٢٦٤ - ١٣١٣) حيث قتل في سنة ١٣١٣ هـ ، وقد كتب ذكريات سفره إلى أوربا عام ١٢٩٠ ، والذي ابتدأ بتاريخ ٢١ صفر ١٢٩٠ هـ ، وقد عنون بعنوان (سفرنامه فرنگستان) . فارسي في وقائع كلّ يوم من أيام سفره ، طبع في إستانبول ١٢٩٢ ، وقيل : إنّه من إنشاء نفسه ، ونسخة منه مكتوبة عن خط ناصر الدين شاه في ١٢٩١ عند النقوي . من آثاره : سفرنامه ناصر الدين شاه : طبع بطهران عن طبعة سنة ١٢٩٠ هـ . ملحمة عاشوراء مطبوع ضمن كتب مختلفة في رثاء الإمام الحسين عليه السّلام . في سنة ١٢٨٧ جاء إلى العراق بدعوة رسمية من الحكومة العثمانية فزار في ٧ رمضان كربلاء ، وأمر بتجديد الأبنية في المشهد الحسيني ، و تبديل صفائح الذهب ، وتذهيب القبة الطاهرة السامية ، واستملك دورا فأضافها إلى الصحن الشريف من الجهة الغربية ، وورد في النجف في ١٣ شهر رمضان ، ورجع وتشرف بزيارة سلمان في ٢٩ رمضان . وفي ٢ شوال خرج إلى زيارة سامراء . وفي ٦ شوال وصل إليه وتشرف بالزيارة . و في ١٣ ذي القعدة سنة١٣١٣هـ قتل. ثم ابنه مظفر الدين شاه جلس على أريكة السلطنة (٨).

قال في رحلته:

يوم الأربعاء الثالث عشر من رمضان ، علينا اليوم أن نذهب إلى النجف الأشرف جلست في العربة صباحا ، (الى ان قال) فوصلنا إلى باب المدينة من جهة الكوفة ، وكان سور النجف قويا جدا بني بالآجر ، وبانيه هو الحاج محمد حسين خان الصدر الأصفهاني ، فنزلت من العربة قرب الباب ومشينا على الأقدام جميعا :

---

(٨) الذريعة ١٢ : ١٨٨ . طبقات أعلام الشيعة ١٤ : ٢٠٠ . فهرس التراث : ج ٢ ص ٢١٧ ، مستدرك سفينة البحار : ج ٥ ص ٢٧٠

البشوات والوزراء ، فدخلنا المدينة ، وكانت أذن روحي تسمع : ((إنك بالوادي المقدس طوى)) ، ولسان قلبي يقول : ((رب أدخلني مدخل صدق)) .

يجب أن نعتبر هذه التربة الطاهرة والأرض المقدسة جزءا من العرش ، وآية من الجنة ، والتي هي موطن الروح ومنزل القلب . فأحسست بروح وراحة أعجز عن وصفها .



يوجد – أولا – عند مدخل المدينة ساحة واسعة طويلة ، وعلى جانبها في رأس السوق دار وعمارة وطابق فوقاني مشرف على هذا الساحة (الميدان) ، وهو دار الحاكم . ومن الميدان حتى باب الصحن الشريف سوق واسع مستقيم مسقف . وقد عجنت الطهارة والنظافة بطبيعة هذه الأرض .

والزينة أطهر من كل مكان وأجمل . وفي نهاية السوق دخلنا الصحن ، صحنا روحانيا واسعا جدا ، حجرات في أطرافه في طابقين قد بني بالقاشاني ، ممتاز ومرتفع جدا ، أصل بنائه من السلاطين الصفويين رضوان الله عليهم ، وإن كان قد كتب اسم نادرشاه على واجهة باب الصحن ، ربما كان قد أجرى بعض التعميرات في الصحن ، لأنه قام بتذهيب القبة ، والقبة والرواق المطهر يقع في

وسط الصحن ، وقد تجرد من ثلاث جهات ، وضرب طاق من الجانب الشرقي بحيث أوصل الرواق والروضة ، بحيث كان الذهاب والإياب يتم من تحت الطيقان كالمجاز ، ومن جهة اليسار وصلنا إلى منزع الأحذية ، فذهبت إلى الإيوان وكان سادن الروضة السيد جواد بن المرحوم السيد رضا الذي قتلوا أباه في داره قبل ثلاث سنوات ، وهو شاب أنيس جميل الصورة ، فقرأ إذن الدخول والزيارة ، فدخلت الروضة المقدسة ، فقبلت عتبة الباب ، وكانوا قد رصعوا القبة بالقاشاني البارز كالأقداح المعلقة ، وقلما شوهد مثل هذا القاشاني بهذه الظرافة ، فهو أدق وأجلى من الترصيع على صفحات الذهب . وبناء القبة من الصفويين أيضا . القناديل الذهبية والفضية والمسرجات الشمعية وسائر المنذورات المعلقة كثيرة ، وقد أسدلت الستائر الكثيرة . والضريح الفضي الطاهر ربما يكون من تبرعات الصفويين .

وكانوا قد فرشوا الفرش الحريري والسجاد المطرز الحريري الموجود في قم أيضا هو من تبرعات المرحوم الشاه عباس الصفوي ، وكان قد عليه : ((كلب عتبة علي عباس)) ، وقد حافظوا عليه جيدا ، وكأنه قد خرج من المعمل توا وهو فرش ممتاز وثمين .

وعندما دخلنا كان الوقت قبل الغروب بساعتين ، فصلينا في جهة الرأس صلوات الظهر والعصر والزيارة . والحمد الله قد توفقنا لهذه السعادة ،

وبعد الزيارة ذهبت إلى قبر الشهيد أغا محمد شاه ((صاحب قران ميرزا)) ، وكان متولي القبر قد لف عمامة صغيرة بيضاء على رأسه ، وعلى القبور خامة كبيرة منحوتة . قبر أم المرحوم فتح علي شاه ، وقبر أم أمنا ، وقبر سليمان خان قاجار جدنا ، وقبر حسين قلي خان أخي فتح علي شاه في غرفة صغيرة أصبحت مجمعا لأجساد الرجال والنساء لهذه الطائفة – رحمة الله عليهم – .

ومن هنا تجولنا قليلا في الرواق ، وكان الحاج حمزة الخوئي التاجر يزين الرواق بالمرايا بصورة جيدة ، وكان حمزة نفسه حاضرا ، فأردته ، استحسنت ومجدت ،

وقلت لأمين الملك أن يخلع عليه وساما وخلعة وحكما للتشجيع لكي يتم هذا العمل الناقص .

رأيت حكيم الممالك في الروضة المقدسة لا زال مريضا ، ثم رجعت بنفس المراسيم ماشيا حتى وصلت باب المدينة فركبت ، واجتزت وادي السلام ،

يوم السبت السادس عشر :

عندما استيقظت من النوم اليوم كان الجو رطبا ملبدا بالغيوم ، والبحر قد تلاطمت أمواجه الكثيرة منذ منتصف الليل . وكان البحر متلاطما ذا صوت ممتعا وطريا جدا – وبعد تناول طعام الظهر حضر السيد حسين المجتهد التركي التبريزي ، وهو من أجلة العلماء ، ويرجح أهل العلم والفضل ، وهو لا يخلو من شبه بالمرحوم الشيخ الدربندي طبعا وهيئة ، مع الحاج ميرزا جواد المجتهد أخي المرحوم الحاج ميرزا باقر المجتهد التبريزي ، ومعهما مشير الدولة ، وبعد ساعة من الحديث معهم نهضت قاصدا الزيارة ،: فدخلنا الصحن كالعادة ، وزرت وصليت وقبلت مكان الإصبعين المقدسين ، الذي كان معينا في الضريح المقدس ، وقدمت الوسام الماسي البرلياني الذي كان على رأسي هدية لعتبة مولانا أمير المؤمنين سلام الله عليه ، وتعين مكانه في جهة الرأس لينصب على الجدار في محفظة زجاجية بحيث لا تصله اليد .

قلت اليوم ليفتحوا خزانة المولى التي أغلقت منذ أيام الوهابين إلى ألان ، ولم تفتح ما يقرب من سبعين سنة ، ويسجلوا جميع ما فيها من ذهب وأحجار كريمة وأشياء أخرى ثم تختم مرة ثانية من قبل إيران والعثمانيين ، حتى تحفظ من النقص والكسر والفقد .

يقع باب الخزانة في الرواق في الجنوب الشرقي منه . كانوا يهدمون ليفتحوه . وكلف ميرزا زكي مستوفي وزير الحرم أن يسجل . الستارة أي الغشاء المطرز بالذهب والفضة الذي أرسله عضد الدولة الديلمي ، وأهداه ليوضع فوق القبر أيام كان القبر بلا زينة وحفاظ ، وكان من الجص والآجر ، فمنذ ذلك العهد وضع

فوق الضريح وإلى الآن لم يصبه أي عيب ما يقرب من ثمانمائة سنة . الضريح الفضي الذي كتبت عنه أنه من السلاطين الصفويين . قرأ اليوم أمين الملك خطوط قبته ، كتبوها باسم منوجهر خان معتمد الدولة .والخلاصة ، خرجنا .
هناك ميزاب ذهبي أيضا ، نصب في سطح الرواق إلى جهة الغرب ، ويقال له : ميزاب الرحمة . تجولت في الصحن قيلا.
وفي المجاز الواقع خلف الصحن من جهة الرأس المقدس في الغرف الواقعة إلى جهة الشرق محل للدراويش البكتاشيين ، وكان لهم شيخ من أهالي اسطنبول ، وكان رجلا (ص ١٦١) : طويل القامة ذا كريمة بيضاء ، وفي وجهة شامات لحمية كثيرة ، أصفر اللون ، خفي المذهب من الطائفة البكتاشية .

اليوم الأحد السابع عشر من رمضان :

....وبعد الزيارة صليت وذهبت على قبر المرحوم ((اقا محمد شاه)) وكانوا قد وكانوا قد اخرجوا علبة جواهر من خزانة أمير المؤمنين عليه السلام ، جاء والي باشا ووزير الخارجية ومشير الدولة وفتحوها بحضوري ، فتفرجت فيها ، وكانت تحتوي على جواهر نفيسة وممتازة كثيرة ، وكان اغلبها من المرحوم نادرشاه الذي كان قدمها لهذه العتبة المقدسة بعد فتح الهند ، فيها جواهر نفيسة ، منها قطعتان كبيرتان من الماس ، إحداهما ((بيكاني)) والأخرى ، ((ايينه)) ، والتي كان احد جوانبها حك هندي ، وكانتا جيدتين جدا وقيمتين ، وزمردات جيدة ، وياقوت نيلي جيد ، ولعل ممتاز ، وخرجنا بعد مشاهدتها ،

يوم الاثنين الثامن عشر من رمضان :

.... جئنا إلى المنزل ، ومكثنا قيلا ، فتوضأت وركبت العربة نحو الصحن المقدس . فدخلنا وكان الجميع حاضرين ، زرت وفتحوا الضريح المطهر ،فدخلت (فكان هناك) (٢) سيف جهانكشا (فتح العالم) ، ومثال صورة الأمام ، وتربة سيد الشهداء الخاصة ، وتربة أبي الفضل العباس عليهما السلام ، وأخرجت ورقة دعاء بخط الأمام والتي كنت قد وضعتها في الضريح المقدس للتبرك وكنت مرتديا

عباءة الأمام البيضاء الخلقة فصليت عند الرأس ، وتلوت سورتين من القران في مصحف جلي كبير كتب بخط الثلث الجيد جدا ، وكانوا قد جاءوا بمقدم تاج جيد جدا هدية من قبل ((عليا مهد)) (٣) ، فتصبوه على الضريح المبارك . وكان وزير الخارجية قد أهدى خيمة من المخمل المطرز ، وكان قد خاطها لهذه السفرة بصورة خاصة ، وكان قد خصص الفضة المستعملة فيها لصنع باب الرواق ، وكانوا ينصبون أزارتها في إزارة الروضة المباركة ، وكأنها قد خيطت لهذه الروضة المنورة ، وكانت تطابق الإزارة من حيث العرض والطول ..... ، ذهبت إلى مقبرة أغا محمد شاه وكان هناك الجواهر والأشياء التي كان قد أخرجها مشير الدولة ومدحت باشا من خزانة الأمام أمس ، وكتبوا قائمة بها ، شاهدتها ، وكان من جملتها قنديل مرصع كبير جدا قدمه علي مراد خان زند ، قطع من الفيروزج الكبيرة وبعض الجزاهر الأخرى ، ولم يكن لأحجاره ذلك الامتياز ، وأربع قباب مرصعة جدا ممتازة وراقية من اجل زوايا الضريح المطهر الأربعة ، كان قد أهداها الشاه سلطان حسين الصفوي ، وسيف مجوهر وبعض الجواهر الأخرى ومجمرة بخور مرصعة ممتازة جدا كانت من هدايا المرحوم نادرشاه ، وقنديل مرصع كبير بسلسلة ذهبية ومعلقات من اللؤلؤ الرطب الكبير الذي يحتوي على امتيازات كثيرة ، كانت أهدته ((زينب بكم)) بنت المرحوم شاه طهماسب الصفوي .

فرأيت من الإجحاف إن يبقى مكنوزا ومخفيا ويذهبون به إلى الخزانة مرة أخرى ، فأمرت أن يعلق في سقف القبة على الضريح المطهر ، وكنت حاضرا ، وكان مزينا وجيدا جدا.(٩)

---

(٩)العراق في مشاهدات ناصر الدين شاه القاجاري، ترجمة محمد الشيخ هادي الاسدي ، نشر مؤسسة آفاق للدراسات والابحاث العراقية، مجلة افاق نجفية العدد٢٤ سنة ٢٠١١ ص ١٦٤،موسوعة النجف الاشرف :ج٤ ص ٢٣

٧- عبدالوهاب عزام
(سنة ١٣٤٩ هـ)

عبد الوهاب عزام (١٣١٢ - ١٣٧٨ هـ = ١٨٩٤ - ١٩٥٩ م) عبد الوهاب بن محمد بن حسن ابن سالم عزام : عالم بالأدب . مصري . ولد في الشوبك (من قرى الجيزة ، بمصر) ودخل الأزهر . وتخرج بمدرسة القضاء الشرعي (بالقاهرة) ودرس بها . واتجه إلى الجامعة المصرية القديمة ، فأحرز شهادتها في الآداب والفلسفة (سنة ١٩٢٣) واختير مستشارا للشؤون الدينية في السفارة المصرية بلندن ، فالتحق بقسم اللغات الشرقية ، بجامعة لندن ، ونال منها درجة الدكتوراه في الآداب الفارسية . وعاد إلى القاهرة فمنح شهادة الدكتوراه في الأدب من جامعتها . ودرس الفارسية في كلية الآداب (بالجامعة المصرية) ثم كان عميدا لتلك الكلية ، إلى أن عين وزيرا مفوضا لمصر في المملكة العربية السعودية (سنة ١٩٤٨) ونقل إلى الباكستان . وأعيد إلى السعودية سفيرا (سنة ١٩٥٤) ولم يلبث أن أحيل إلى المعاش فكلفته السعودية إنشاء جامعة الملك في الرياض ، فأنشأها . وتوفي بالسكتة القلبية (فجأة) بمنزله بالرياض . ونقل بالطائرة إلى القاهرة ، ودفن في حلوان . وهو من أعضاء المجامع العلمية في سورية والعراق ومصر وإيران . وكان يحسن الفرنسية والانكليزية والفارسية والأردية والتركية . من كتبه المطبوعة فصول من المثنوي ترجمها عن الفارسية وعلق عليها ، وذكرى أبي الطيب بعد ألف عام و محمد إقبال : سيرته وفلسفته ، وشعره و التصوف وفريد الدين العطار و مجالس السلطان الغوري و الأوابد مقالات ومنظومات ، و

رحلات جزآن ، و الشوارد و النفحات و المعتمد بن عباد وهو آخر ما ألف . وله نظم حسن (١٠)

قال في رحلاته سنة ١٣٤٩ هـ برحنا كربلاء ـ والساعة خمس من المساء ـ قاصدين النجف الأشرف. فناوحنا الجنوب منحرفين قليلا إلى الشرق؛ في بيداء جرداء. فبلغنا النجف، والساعة سبع.

والنجف؛ مدينة مسوّرة. بني سورها ـ أيام ثورة الوهابيين الأُولى ـ خيفة على المدينة من عاديتهم.

نزلنا في دار النائب الوجيه عبدالرزاق آل شمسه، فاستقبلنا ـ هناك ـ حاكم البلد (القائمقام) وكثير من العلماء والفضلاء.

ثم سرنا إلى مشهد الإمام عليّ، والمسجد إحدى آيات البناء عظمة وأبهة ونظاماً.

فيه فناء عظيم، تحيط به أبنية كثيرة رفيعة؛ فيها معاهد للدرس، ومساكن للطلاب والعلماء.

وقد حُدّثت أن طلاب العلم في النجف يزيدون على عشرة آلاف. ولا عجب؛ فهو مشهد تهفو لذكراه أفئدة المسلمين عامة، ولا سيما الشيعة منهم.

يحيط الفناء بمسجد عظيم، يزيغ البصر في جلاله وأبهته. مقدم المسجد كله والمنارتان الشامختان على جانبيه ـ كلّ هذا مغشى بصفائح الذهب الخالص. ولكن أنّى للداخل ـ إلى حضرة أمير المؤمنين عليّ ـ أن يعبأ بالذهب والزخرف.

دخلنا إلى المشهد العظيم، وللناس حوله جؤار بالدعاء والقراءة، فأطفنا به في عشية من جلال الموقف، ورهبة الذكرى. ولم يمنعني روعة المقام من

---

(١٠) معجم المؤلفين ١٣ : ٤٠٣ . الأعلام : ج ٤ ص ١٨٦

تسريح الطرف في القبة الهائلة، تبهر الأبصار في حلل من البلور والذهب. تتدلى منها المصابيح تزري بالتيجان المعلقة هنالك. وقد رأينا تاجين أحدهما فوق المرقد

الشريف، وهو تاج الشاه إسماعيل. والآخر في زاوية من القبة؛ يقال إنه تاج نادرشاه، ويقال إنه تاج أحد ملوك الهند.

وفي هذه القبة يقول بعض الناس

قبـــة المرتضـــى علـــيٍّ إذا مـــا	**فضّـــــلوها أقـــــول بالتفضـــــيل**
هـي بـاء مقلوبـة فـوق تلـك النـ	**ـــقطة المســـتحيلة التأويـــل (١١)**

---

(١١) الابيات لعبد الباقي العمري وهي في الترياق هكذا :

قبـــــة المرتضــــى علـــــي تعـــــالى	شــــــانها عـــــن مـــــوازن وعـــــديل
مـــن نضـــار صـــيغت بغـــير نظـــير	ومثـــــال منــــزه عـــــن مثيـــــل
فوقهـــــا كالاكليـــــل لاح هــــلال	ومقتـــــه الســــها بطـــــرف كليـــــل
كـــبرت فاســـتقلت الفلـــك الـــدو	وار عنهـــا بـــان يـــرى ببـــديل
جللـــت مرقـــدا جلـــيلا تجلـــت	فوقـــــه هيبـــــة المليـــــك الجليـــــل
فعلـــى قبـــة الســـماء اذا مـــا	فضـــــلوها اقـــــول بالتفضـــــيل
هـــي بـــاء مقبولـــة فـــوق تلـــك	النقطـــــة المســـــتحيلة التاويـــــل
هـي فلـك بـل مـا عليـه اسـتوى الفلـك	ومـــن فـــوق لوحـــه مـــن قبيـــل
هـــي كهـــف النجـــاة طـــور المنّاجـــاة	ثمـــال العفـــات مـــأوى الـــدخيل
هـــي حـــق للجـــوهر الخـــاص مالـــك	عـــرض العـــام عنـــدها مـــن مقيـــل
هـــي ظـــل مـــا ضـــل مـــن قـــال يومـــا	بحماهـــا مـــن تحـــت ظـــل ظليـــل
هـــي غمـــد لـــذي فقـــار بطـــين	مـــن ســـيوف الله العلـــي صـــقيل
هـــي غـــاب ثـــوى بـــه اســـد	الله علـــي بصـــدر اشـــرف غيـــل

ثم خرجنا إلى الرواق المحيط بالقبة، فمررنا بحجرة فيها قبر محمّد شاه القاجاري، عليه صفيحة من المرمر مزينة بنقوش، وصورة مَلَكين ذوي أجنحة يحملان بينهما تاجاً.

ثم خرجنا إلى الصحن، فعرجنا على حجرة في جانب منها مقصورة؛ أخبرنا أن فيها قبر السيد كاظم اليزدي، وابنه، وقبر أمير رامبور. ورأينا صورة الشيخ كاظم (السيد كاظم اليزدي) وصورة ابنه معلقتين على سياج المقصورة. والفائدة بلقائه وشهود مجلسه (١٢)



عبد الوهاب عزّام

(١٢)رحلات عبد الوهاب عزام ص ٦٢

٨- جان باتيست تافرنييه

الرحالة الفرنسي تافرنييه ن باتست تافرنييه Jean-Baptiste Tavernier ت. ١١٠٠ هـ / ١٦٨٩ م هو رحالة فرنسي.قام بست رحلات في آسيا، وصل إلى جاوة و جزر الهند الشرقية .وقد ترجم كوركيس عواد و بشير فرنسيس كتابابته المتعلقة بالعراق و نشر تحت اسم رحلة الفرنسي تافرنييه إلى العراق في القرن السابع عشر (الدار العربية للموسوعات ، ٢٠٠٦ م

قال وهو في طريقه إلى البصرة بالنجف الأشرف تحدث عن الضريح المطهر وحوله أربعة شمعدانات مضاءة وقناديل مدلاة من السقف كانت تضاء في الليل والنهار وهناك قارئان يتلوان القرآن الكريم على الدوام.. ورأى أنّ ماء الشرب غير عذب يستقيه الناس من آبار أربعة موجودة فيها، وأن الطعام كان شحيحاً في البلدة، وأنه لم يجد فيها غير شيء قليل من التمر والعنب واللوز مما كان يباع بأسعار عالية... وعندما يكثر عدد الزوار في موسم الزيارات كان الشيخ يوزع عليهم عند الحاجة الرز المطبوخ بالماء والملح والمضاف إليه شيء قليل من السمن ويتفق تافيرنييه كغيره من الرحالة الأجانب حول موضوع منع الزوار الايرانيين من زيارة النجف وغيرها من العتبات المقدسة الذي أصدره الشاه عباس الصفوي، وذلك لأن الزوار كان لابدّ أن يمروا ببغداد قبل وصولهم إلى النجف، وهناك كان يترتب على كل منهم دفع رسم قدره ثمانية قروش وهذا الرسم في نظر الشاه تحدياً واهانة لرعيته وحكومته، ولذلك عمد إلى تعمير ضريح الرضا (عليه السلام) في مشهد خراسان ليكتفي الايرانيون بزيارته وينصرفوا عن زيارة العتبات الأخرى، وقد اقتدى به ملوك إيران الذين جاءوا من بعده أيضا(١٣)

---

(١٣) العراق في القرن السابع عشر، گورگيس عواد وبشير فرنسيس. وهو ترجمة ما يخص العراق من رحلة تافيرنييه. ورد في بحث جعفر الخليلي في موسوعة العتبات المقدسة

٩- فيكتور بيرار

(١٣٢٥هـ/١٩٠٧م)

فيكتور بيرار مؤرخ فرنسي ولد عام (١٢٨٠هـ/١٨٦٤م) وتوفي عام ١٣٥٠/١٩٣١م) وضع العديد من المؤلفات في تاريخ الغرب من ابرز مؤلفاته:ترجمة الالياذة والاوديسية الى الفرنسية، قام برحلة الى القسطنطينية(اسطنبول) وبغداد ومكة وكبريات مدن العراق وغيرها وقد طبع عام ١٣٢٥ هـ بعنوان رحلته (السلطان، الإسلام والقوى: القسطنطينية، مكّة، بغداد

يذكر بيرار عن النجف القليل ومنه :

في كل عام يأتي من الهند وبلاد فارس ومن كل أنحاء العراق آلاف من الزوار والجنائز إلى النجف حيث الجامع الذي يضم مرقد الإمام علي

وقد كتب القنصل البريطاني في كرمنشاه عام ١٩٠٤م يصف نقل الجنائز والرسوم التي يفرضها العثمانيون بقوله يدفع عن الجنائز التي تصل من الخارج رسوم قدرها ٥٠ بيزة، أما الجنائز العثمانية فلا يدفع عنها إلى المكتب الصحي سوى ٢٠ بيزة، كما أن السلطات المحلية في كربلاء والنجف والكاظمية تتقاضى من ناحيتها حق الدفن الذي تتراوح قيمته حسب درجة قدسية المكان الذي يتم اختياره: خمسة آلاف بيزة للجثة التي تُدفن في الحرم المقدس في كربلاء والنجف . يجلب الزوار عشور جماعاتهم، وثلث ثروات المتوفين التي يخصصها الشيعة في كل مكان بعد وفاتهم للعتبات المقدسة

إنّ ثروات القائمين على الحضرة النجفية والسادة كبيرة جداً

وتقدّر الثروات المتجمعة في المراقد في كربلاء والنجف دون احتساب الزخارف الداخلية والخارجية بـ ٣٠ مليون ليرة تركية أي ٦٩٠ مليون فرنك فرنسي، ما يعادل مليون يورو حالياً. إنّ الخليفة السني في اسطنبول وهو بمنزلة البابا للسنة يتجرأ في بعض الأحيان على التصرف بثروات الطائفة الشيعية...

وفي عام ١٨٧٣ م فُتحت خزائن الأئمة وفتحت السراديب بأمر من السلطان عبدالعزيز، وأخرج منها ٧٧ طناً من المجوهرات والنفائس التي حولت إلى نقود وارسلت إلى اسطنبول...

وقديماً كانت هذه المراقد الشيعية تمتلك من بين ما تمتلك أراضي واسعة كانت بتصرف علماء وفقهاء الطائفة، وضع الخليفة هذه الأملاك تحت تصرّف الادارة الامبراطورية (الأوقاف) ...

ولكي لا تتكرر هذه العملية طالبت انگلترا وفارس بأن يكون لقنصلياتهم حق المراقبة على توزيع دخول الهبات الجديدة. لقد أظهرت انگلترا استعدادها لحماية الشيعة ، وقد رجع الفرس إلى القناصل البريطانيين مثلما حدث عام ١٩٠٦م عندما تجاوزت السرقات التركية كل الحدود...

ومن المعروف انّ القنصليات البريطانية كانت توزع مبلغاً يعادل ٦٠ ألف فرنك فرنسي شهرياً على فقراء المدن المقدسة الأربع: كربلاء والنجف والكاظمية وسامراء(١٤)

---

(١٤)النجف الاشرف اسهامات في الحضارة الانسانية :ج١ص ٢٧٠ ، مقال بعنوان : النجف كما وصفها بعض المستشرقين ، مجلة افاق نجفية العدد السابع سنة ٢٠٠٧ م ص ١٥٣

١٠- الرحالة الروس
(سنة ١٨٤٩م)

قال : ب . م . دانتسيغ :حينما يصف جيريكوف رحلة اللجنة الروسية من بغداد الى بابل ، والنجف ، وكربلاءفي سنة ١٨٤٩ فهو يعير اهمية خاصة الى النجف وكربلاء المدينتين المقديتين عند الشيعة :

((تشتهر هاتان المدينتان كربلاء والنجف عند الشيعة باسم (عتاب الائمة) . تتوجه الى هنا ومن جميع البقاع التي يسكنها الشيعة وبدون انقطاع قوافل الحجيج (الزوار) التي لا تعدو لا تحص ، وهم يحملون معهم هدايا كثيرة الى المسجدين من النقود والاشياء ، وغالبا ما تكون الهدايا ثمينة جدا ، وهم يجلبون معهم جثث موتاهم ايضا لدفنها في هذه الارض المقدسة . . . وهنا يعيش كذلك كثير من التجار الاغنياء ، والوجهاء المغضوب عليهم ، والامراء الذين هم في اواخر ايامهم ، وينتظرون الموت . . . وفي سنة ١٨٤٩ مر زوار يبلغ عددهم الثلاثين الف شخصا عن طريق بغداد من كربلاء ، ويبلغ في الاحوال الاعتيادية عددهم في السنة الواحدة حوالي العشرين الف شخصا . . . وينقلون في الغالب جثث موتاهم الى كربلاء في فصل الشتاء . . . ويبلغ عدد التوابيت التي تستقلبها كربلاء الخمسة الاف ، واحيانا تصل الى العشرة الاف في السنة الواحدة . وثمن النقل يبلغ قرانا واحدا (٣٠ كوبيكا) عن خمسة توابيت (وهي ضريبة المرور) . ويطالب رئيس مركز الشرطة التركية للحجر الصحي بفحص التوابيت احيانا ، غير ان الفرس لا يرضون بهذا الاجراء بسبب التعصب المذهبي ، بالرغم من ان هذه الاجراءات هي موجهة ضد المهربين . اما اجرة الدفن في اسوار كربلاء والنجف فتبلغ حوالي الالف قران ، وهي تختلف بمدى بعد او قرب مكان الدفن عن المسجد ، اما في خارج المدينة فتصل اجرة الدفن الى المائة قران . فالحكومة التركية هي التي تضع هذه التسعيرة ، واما الملالي فلهم حصصهم الخاصة من النقد ، حيث يقبضون على كل جثة مائة قران في المدينة ، وفي خارج المدينة تكون

حصتهم عن كل جثة خمسة وعشرون قرانا . ووهناك من يدفن في الصحراء على بعد ساعة عن المدينة . واذا ما حدث ان نهب الحجاج في الطريق ولم يكن باستطاعتهم دفع ثمن دفن الموتى الذين جلبوهم ، فيتم دفن هذه الجثث على مسافة ثلاث او اربع ساعات بعيدا عن المدينة(١٥)

---

(١٥)**الرحالة الروس في الشرق الاوسط / تاليف ب . م . دانتسيغ ص ٢٧٤**

١١- كارستن نيبور
(١٧٤٤م)

كارستن نيبور(CARSTIEN NEIBUHR) (١١٤٥ – ١٢٣٠ هـ = ١٧٣٣ – ١٨١٥ م)

رحالة الماني اختص بعلم الفلك والجغرافية واللغات الشرقية ، اوفده ملك الدنمارك فريدرك الخامس عام (١١٧٥ هجرية- ١٧٤٤م) في رحلة إلى مصر واليمن سنة ١٧٦١ مع بعثة لدراسة احوال المنطقة جغرافيا وسياسيا واجتماعيا واثريا ، ومات جميع أعضائها في خلال الرحلة ، وبقي هو منفردا ، فمر بمسقط وبغداد والموصل ، وعاد إلى بلاده عن طريق الآستانة ، سنة ١٧٦٧ وصنف بالألمانية كتابا في وصف بلاد العرب طبع في كوبنهاجن (١٧٧٢) و رحلة في البلاد العربية وما جاورها في مجلدين (١٧٧٤ – ١٧٧٨) أتبعهما بملحق طبع سنة ١٨٣٧ وعين بعد رجوعه إلى الدنمرك مهندسا في أركان الحرب ثم مستشارا حقوقيا في ملدوف (سنة ١٨٠٨) ومات (١٦)

---

(١٦)الاعلام :ج٥ ص ٢١١

ب

ا

هـ

اللهم صلي على

محمد وآله

أ

بسم الله الرحمن
الرحيم قل هو
الله احد الله
الصمد لم يلد و
لم يولد ولم يكن
له كفوا احد
هذا قبر جعفر
بن معمر رحمه
الله وغفر
له صل الله على
محمد وعلى
آل محمد

د

و

ز

كتابة بالخط الكوفي استنسخها نيبور عن شاهد قبر مدفون في مسجد الكوفة اسمه جعفر بن معمّر، وتبتدئ الكتابة بسورة الاخلاص ١١٢، والكتابة المقابلة لها: آية الكرسي ٢٥٥ من سورة البقرة

قال في رحلته :

وصادفت على الدرب بين الرماحية ومشهد علي أربع جنائز ، ومن الأخيرة الى الحلة خمس جنائز ، وحين سألت ان كان العدد لايتعدى سبع جنائز تنقل من مناطق أخرى الى هنا لاجبت أن هذا الرقم قليل للغاية ، اذ يدفن هنا سنويا ما يفوق الألفي ميت غر يب ، ويحصل من يدفع جيدا على قبر قرب مسجد أمامهم ، ومن يدفع أقل يدفن داخل أسوار المدينة ، أما ذاك الذي يتعذر عليه الدفع فيعين له مكان خارج المدينة ، ولا أظن أن الموتى يدفنون داخل حرم المسجد ، أو على الأقل في مساجد المسلمين الأخرى ، لانجد سوى قبر مشيّد المسجد وأحيانا قبور أولاده ونسائه ، وبشكل عام لايحب المسلمون أن المدافن داخل حرم المدينة .
أكد لي علماء سنة أن قبر علي ، صهر النبي لايعرف مكانه ويبدوا أن عائلته حاولت أن تغطيه عن أعدائها .
لكن الشيعة يؤكدون أن علي دفن في هذا المسجد ويقولون انه أعطى الأمر ووضع جثمانه بعد وفاته على ظهر ناقة ، وبدفنه حيث تبرك بعد أخراجها من الكوفة .
ويبدو هذا الأمر غريبا من سيد عرف بذكائه كعلي ، لكن هذا القبر المزعوم سمح ببناء مدينة تقع هذه المدينة في منطقة جرداء قاحلة كالسويس وجدة .
كما تفتقر للمياه ، وتجر تلك المستعملة للغسيل في أنابيب جوفية، أما المياه الصالحة للشرب فتنقل على ظهر الحمير من مكان يقع على بعد ثلاثة فراسخ ويكثر الكلس في أحدى جهات المدينة فيكفي بالتالي جرف بعض الرماد والزبل الجاف لصنع كلس جيد للبناء ، وبما أن سعر الخشب مرتفع تبنى غالبية المنازل من الآجر المشوي المطلي بالكلس وبشكل مقبب مما يجعلها متينة ،
وفي الجهة الأخرى للمدينة تطالعنا منطقة منخفضة يكثر فيها الملح ، ويطلق عليها العرب أسم البحيرة (el buheire) وأسم النجف ، ويدعون أنها بحيرة سرفة (buheiret sarve) التي جفت عند ولادة محمد .
ويتبع قسم من سكان المدينة المذهب السني ،فيما يتبع القسم الآخر المذهب الشيعي ويكره أتباع هذين المذهبين بعضهم البعض حتى أن السني حين يزور بلاد

فارس يضطر للصلاة وفقا لعادات البلاد كي لايسيء اليه الشعب، شأنه في ذلك شأن الشيعي الذي يقصد بعض المدن التركية

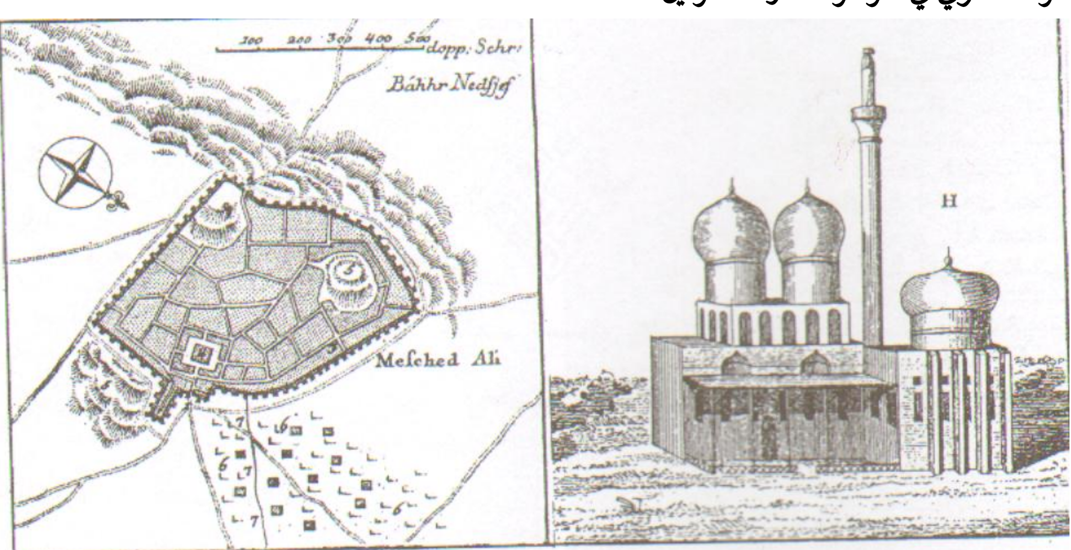
أما في مشهد علي ومشهد الحسين فيتعايشون قدر المستطاع ، ويضطر السنة الى الخضوع لأرادة الشيعة لأنهم يعملون عندهم ويجب على الشيعة تجنب المشاكل والا أفسحوا المجال أمام الباشا ليجعل الفرس يدفعون غاليا ثمن زيارة أمامهم الأول ويقصد حوالي ٥٠٠٠ شخص قبري علي والحسين ولا يحجون في أوقات معينة كالذين يقصدون مكة ، لكن الشيعة يعتقدون أن صلواتهم تستجاب في أشهر معينة لذا يأمون المكان في ٢٧ رجب وفي شهر رمضان وفي العاشر من محرم .

ونادرا ما نسمع احدا هنا يستعين بأسم الله ليؤكد كلامه ، أذ يقسمون كلهم بأسم علي وبأسم الحسين في مشهد الحسين ، وبأسم الشاذلي في المخا ، ونسمعهم غالبا يصرخون : (واعلي ! وا شهيداه ، واحسيناه وا شهيداه ، كرم الله ذكراكما) .

ان المنظر الخارجي لمدينة مشهد علي يشبه الى حد بعيد محيط القدس اليوم ، وهي تمتد على المساحة نفسها تقريبا ، وقد رسمت الخارطة على اللوحة xlii

يحيط بالمدينة سور فيه بابان ، باب المشهد قرب الرقم ١ وباب النهر قرب الر قم ٢ أما باب الثالث الذي يحمل اسم باب الشام قرب الرقم ٣ فمسدود ، وقد انهار السور من أماكن عدة حيث يمكن للمرء أن يدخل المدينة من خمسين فتحة ونجد في المدينة ثلاثة مساجد صغيرة فضلا عن المسجد الذي يضم قبر علي قرب الرقم ٤ ، وتكونت التلال قرب الر قم ٥ من أقذار الشوارع التي تستقدم على ظهور الحمير .

وجعلت المدافن المشتركة قرب الرقم ٦ أما الرقم ٧فيدل على المنطقة التي تجر منها المياه الى المدينة عبر اقنية تحت الأرض .



خريطة النجف ومشهد علي (عليه السلام) رسم وتخطيط الرحالة نيبور - سنة ١٧٦٥ - ١١٧٩

Beschreibung
von
Arabien
Aus eigenen Beobachtungen
und im Lande selbst gesammleten Nachrichten
abgefasset
von
Carsten Niebuhr.



Kopenhagen, 1772.
Gedruckt in der Hofbuchdruckerey bey Nicolaus Möller.
In Leipzig zu bekommen bey B. C. Breitkopf und Sohn.

غلاف رحلة نيبور المطبوعة سنة ١٧٧٢ ، مكتبة أكاديمية الكوفة

ويلفت الأنظار في المدينة ، المسجد المشيد فوق قبر الخليفة والامام علي ، وقد رسمته بقدر ما سمحت لي الظروف قرب الحرف (أ A) على اللوحة (xlii) أظن أن ما من صرح في العالم يعلوه سقف ثمين كمسجد الشيعة هذا ، وقد دفع كلفته نادر شاه الشهير في بلاد فارس ، ولكن الطغاة كهذا الأخير يفعلون المستحيل ليبهروا أنظار الشعب ، ان طلاء القبة الكبيرة وسطح المئذنتين بالنحاس ليس بالأمر العجيب لكن هذا النحاس كله مذهب وقد أستعمل لكل ٨ بوصات ونصف مربعة طومان ذهبي أي عشرة دراهم ألمانية

ويشكل هذا المسجد مشهدا رائعا ، لاسيما حين تسطع عليه أشعة الشمس، وبما أن الصرح والمدينة بشكل عام مرتفعان ، يمكن أن نرى القبة على بعد خمسة او ستة اميال ويرتفع فوق القبة حيث نرى عادة في المساجد التركية هلال أو عصا طويلة ، كفا ممدودة لابد أنها تمثل كف علي وتحيط بالمسجد ساحة مفتوحة يقام فيها السوق يوميا ونجد أمامه ثريا بقناديل عدة، ويقوم حول هذا كله بيبان يقيم فيها بعض المسؤولين وعن خدمة المسجد ،ولا يمكن أن يقيموا فيها كلهم، أذ أن عددهم يتجاوز المئة بحسب ما أكدوا لي،

ومن ضمنهم العديد من الدراويش الذين يعيشون لشدة فقرهم عند مدخل المسجد ،ويعرضون صلواتهم على الحجاج لقاء مبالغ صغيرة، وقد صدمت حين علمت بالطريقة التي يقرأون فيها الصلوات لقاء صدقة أو على الأصح لدفع الشعب الفقير المتطير الى التصدق عليهم .

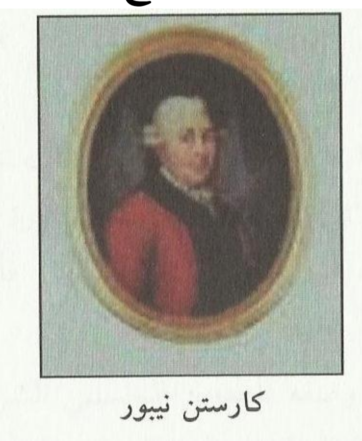
وتجرأت على الأقتراب من مكان يعتبره السنة والشيعة على حد سواء مقدسا ، ولو تصرفت بتهور ودخلت المسجد لربما أجبروني على أعتناق الدين الأسلامي ولم أشأ أرضاء حشيرتي بهذا الثمن ،لكن رفيق رحلتي والعديد من الشيعة أكدوا لي بأن المسجد يحوي ثروات طائلة،فالقبة مذهبة وقد كتبت عليها آيات من القرآن بأحرف من خزف،كما كتب على الجدران بأحرف ذهبية كبيرة،ونجد أيضا العديد من الشمعدانات من الفضة والذهب المرصعة بالأحجار الكريمة،ويكثر الحديث

عن سعر خنجر كذلك الذي يحمله الهنود في أحزمتهم معلق على قبر علي المسور،ويقال أنه مرصع بأحجار كريمة باهضة الثمن،

وأن أورنك زيب (aureng zeb) أهداه للخليفة الذي أغتيل منذ قرون عدة،ووصفوا لي قطعاأخرى كثيرة في المسجد حتى أني أكاد أشك بما روي عن عربي بهرته هذه الأموروحين ذكروه بوجوب الصلاة أجاب حقا الأشياء الفاخرة التي زينت القبر أنستني ذكر الله .

ويهتم بهذا الكنز الكبير المتولي (المشرف على المسجد) والحاكم كما يرسل باشا بغداد سنويا مسؤولا كبيرا للتأكد من وجود كافة المحتويات .

لكن بما أن هؤلاء من أهل السنة ومن الأتراك الذين يعرفون قيمة الذهب والأحجار الكريمة أكثر من أن يتركوها في أماكن مماثلة حيث تلهيهم عن صلاتهم ، يعتقد الشيعة أنهم يعملون على أبدال القطع الحقيقية بقطع مزيفة (١٧).



كارستن نيبور

(١٧)رحلة الى شبه الجزيرة العربية والى بلاد اخرى مجاورة لها ج٢ ص٢١٢- ص ٢١٥

١٢- الموسوعة الإسلامية

تبدأ الموسوعة بتقديم مدينة النجف وتسميها مشهد ﴿الإمام﴾ علي، مدينة عراقية ومزار مقدس للحجّ ﴿المقصود الزيارة﴾ في الوقت نفسه. تقع على بعد عشرة كيلو مترات غرب الكوفة وهي على حافة الصحراء في مرتفع على شكل هضبة جرداء ولهذا سمّيت بالنجف.

واستناداً إلى الروايات التاريخية فإنّ جثمان ﴿الإمام﴾ علي بن أبي طالب دُفن على مقربة من الكوفة، ليس بعيداً عن السد الذي يحمي المدينة من فيضان نهر الفرات، في هذا المكان الذي ستقوم عليه مدينة النجف فيما بعد..

وتستعين الموسوعة بآراء المؤرخين المسلمين كالمسعودي والاسطخري حول تحديد المكان الذي دُفن فيه جثمان الإمام علي... وآراء ابن بطوطة وابن الأثير وابن حوقل عن الحمدانيين والبويهيين، وعن ضريح الإمام وتزيينه وبناء قبته وكيف حرق عامة بغداد المشهد عام ٤٤٣هـ / ١٠٥٢م.

وكيف قام الخليفة البويهي الشيعي عضد الدولة بإعادة اعمار وترميم الصحنين الشريفين (مشهد الإمام علي في النجف ومشهد الإمام الحسين في كربلاء) وكيف زار السلطان السلجوقي ملك شاه ووزيره نظام الملك ضريح الإمام علي... وكيف حرف الحاكم المغولي لبغداد قناة الفرات في النجف التي ما لبثت أن غطتها الرمال سريعاً...

وكيف اعيد حفرها وتنظيمها بأمر من الشاه إسماعيل وكانت القناة تسمى باسمه نهر الشاه ثمّ تغطيها الرمال من جديد ويعاد تنظيفها مرة أُخرى إلى أن قرّر السلطان عبد الحميد الثاني أن يمد أنابيب حديدية لجلب الماء من الفرات إلى النجف عام ١٩١٢م

وتشير الموسوعة إلى الزيارة التي قام بها الشاه إسماعيل الصفوي، ومن ثمّ زيارة السلطان سليمان القانوني العثماني للنجف الأشرف، هذه المدينة التي حافظت

على شيء من الاستقلالية والادارة الذاتية التي وفرها المجتهدون إبان العهد العثماني على الرغم من الضغط الذي مارسه الباب العالي والقمع الذي قوبلت به الانتفاضات الشيعية في الأعوام ١٨٤٢ و ١٨٥٢ و١٨٥٤. كما سبّبت محاولات التجنيد الاجباري الذي استحدثه العثمانيون انتفاضات عدة عامي ١٩١٥ و ١٩١٦م...

كما أن النجف تحولت إلى موقع مركزي للمعارضة المناهضة لبريطانيا والملك فيصل وبخاصة إبان الثورة العراقية عام ١٩٢٠ماحتفظت النجف على مدى كل هذه القرون بمكانتها كأرض مقدسة يزورها الشيعة من كل مكان في العالم ويدفنون فيها موتاهم...

وفي الستينات من هذا القرن تحولت النجف إلى مركز للمعارضة الإيرانية ضد شاه إيران، فلجأ إليها آية اللّه الخميني عام ١٩٦٥م وبقي فيها حتى عام ١٩٧٨م .وهي اليوم جزء من محافظة كربلاء. كان عدد سكانها عام ١٩٧٠م قرابة ١٨٠ ألف نسمة، وربع هذا العدد من الإيرانيين قبل أن يقوم العراق بتهجيرهم إلى إيران إبان الحرب العراقية الإيرانية...

وتستند الموسوعة إلى قول لويس ماسينيون ان الحيرة كانت قائمة في مكان النجف حالياً. (١٨)

---

(١٨) الموسوعة الإسلامية الصادرة بالفرنسية عن ميزونف لاروز1979م .Ecyclopédie de l'Islam, Ed. Maisonneuve & Larose; 1979

١٣- ف. فونتانيه
(سنة ١٨٢٤م)

وفي سنة 1824 م زار نائب القنصل الفرنسي يومذاك في البصرة والسيد فونتانييه مدينة النجف، وقد كتب يصفها إن بغداد التي مررتُ بها في ١٨٢٤م لم تكن بغداد الموصوفة في ألف ليلة وليلة وإنما لها طابعها الشرقي، فإنها أصبحت مجمعاً للمسلمين نظراً لوجود ضريح الإمام علي في مدينة النجف التي تقع على مسافة منها، ولاشكّ أن وجوده يدعو شيعته إلى زيارته والقدوم إليه... ويُقال انّ مائة ألف أجنبي يمرون سنوياً بمدينته للذهاب إلى زيارة ضريح الإمام علي. وهذا الازدحام يجعل من أية نقطة في البر وسطاً تجارياً كبيراً(١٩)

(١٩)رحلة في الهند وفي الخليج ... (أورده جعفر الخليلي V. Fontanier, Voyage dans L'lnde et le Golfe Persique)

١٤- بارون كارا دي فو

البارون كرّا دي فو Baron Bernard Carra de Vaux ١٨٦٧ – ١٩٥٣ م هو مستشرق فرنسي.من آثاره ابن سيناAvicenne ، سنة ١٩٠٠ م. نقلها إلى العربية عادل زعيتر. الغزاليGazali ، سنة ١٩٠٢ م. نقلها إلى العربية عادل زعيتر، وعلق البدوي على الترجمة قائلا انها في غاية السقم وسوء الفهم عقيدة الإسلامLa doctrine de l'Islam ، سنة ١٩٠٩ م. مفكروا الإسلام Les penseurs de l'Islam، في خمسة أجزاء، سنة ١٩٢١ - ١٩٢٦ م. نقلها إلى العربية عادل زعيتر.و له مقالات في مجلة حوليات الفلسفة المسيحية، و المجلة الآسيوية

يذكر البارون كارا في كتابه ان بلاد فارس هي البلد الأكثر حباً للزيارات: انّ الفرس من كل الطبقات متحمسون لأداء هذه الزيارة، الفقراء يؤدون الزيارة سيراً على الأقدام، والسادة الأغنياء يزورون بأبهة محاطين بعائلاتهم ويقطعون الطريق على مراحل صغيرة، والأضرحة التي يزورها الشيعة هي بشكل عام هي : مراقد الإمام علي وأولاده وبعض الأئمة الآخرين من أهل البيت (...)

إنّ المرقدين المهمين جداً اللذين يزورهما الفرس هما في النجف وكربلاء

لا نعلم بالضبط أين دفن الإمام علي. ان الروايات التاريخية تقول بأنه قتل أمام الجامع الكبير في الكوفة، وقد نقل جثمانه إلى مسافة ما، إلى الحيرة، التي هي اليوم النجف. وتقع النجف على ناحية الشمال من بحيرة تحمل الاسم نفسه. إن الجامع الذي فيه الإمام علي مقدّس جداً. وقد بُني الضريح في مركز فناء مستطيل جدرانه مزخرفة ومحلاة بالذهب وببلاط مزين. أمام الباب نافورة من البرونز الصقيل ذات رونق، وترتفع قبة مذهبة أعلى الضريح بين أربع منارات في الزوايا الأربع

(٢٠)مذهبة هي الأخرى. ان المنظر الاجمالي عندما ينظر إليه من بعيد يبدو كصرح مذهب أخاذ(٢١)

(٢٠) كثير من الرحالة والمستشرقين يؤكدون ان للمرقد العلوي منائر اربع وهو الذي لم نجده في تاريخ اعمار المرقد

(٢١)مفكرو الإسلام، بول غوتنير، ١٩٢٦م **Baron Carra DE VAUX, Les penseurs de l'Islam, Paris Paul Geuthner, 1926**

١٥ - ادريان دوبريه

(سنة ١٨٠٧م)

في هذه الرحلة لم يخصص دوبريه سوى بعض الاسطر وهي : انه مرّ ببغداد عام ١٨٠٧م ولاحظ انّ عدد الزوّار الذين يمرون ببغداد سنوياً في طريقهم إلى الزيارة في النجف الأشرف يتراوح بين خمسة عشر ألف وعشرين ألف زائر، وكان مرورهم من بغداد بهذا الشكل يؤثر على تجارتها ومصنوعاتها بطبيعة الحال(٢٢)

---

(٢٢) رحلة في بلاد فارس في السنوات ١٨٠٧ و١٨٠٩م عبر الأناضول وبلاد ما بين النهرين، باريس ١٨١٩م (أورده جعفر الخياط Adrien Dupré, Voyage en perse Fait dans les années 1807-1809, Paris. 1819)

١٦- جان ديولافوي (سنة ١٢٨١هـ)

زارت الرحالة الفرنسية جان ديولافوا العراق في ولاية تقي الدين باشا الثانية على العراق عام ١٢٨١هـ مع زوجها عالم الآثار الفرنسي مارسيل ديولافوا، وهي تتحدث عن الجنائز فتقول: انّ دفن الموتى في النجف وسائر المراقد المقدسة أصبح عادة لفريق من المسلمين منذ أوائل عهد الإسلام... وكان الزوار يتواردون من إيران على بغداد في طريقهم إلى الكاظمية والنجف، وكانوا عند دخولهم إليها من بابها الشرقي يتعرضون إلى الكثير من عبث الأطفال وهرجهم، وإلى الرمي بالحجارة في أغلب الأحيان .ومع جميع الأذى الذي كان يصيبهم من ذلك كانوا لا يفكرون في يوم الأيام بتقديم الشكوى إلى السلطات التركية أو إقامة أية دعوى في المحاكم، لأنهم كانوا يعلمون أنهم لا يحصلون على نتيجة ملموسة يتجنبون المصاعب بها، فالمسؤولون الأتراك كانوا يشجعون هذه الأعمال ـ على حد قولها ـ وكانت كل شكوى تقدم من الزوّار تقابل بالهزء والسخرية(٢٣)

---

(٢٣) الفرس والكلدانيون والخوزستانيون (أورده جعفر الخياط Jane Dieulafoy; La parse La Chaldée et La Susiane, Paris, 1887

١٧- جاك بيرك

يقول بيرك : في أحد الكتب المصورة التي خصصتها الجمهورية العراقية لتبيان تطورها الصناعي اشارة إلى وجود مصانع جديدة في النجف وكربلاء. بحيث أصبحت المدن المقدسة تخضع إلى أحد قوانين عصرنا ألا وهو التغير الاقتصادي. فإلى عائدات الزيارات والمبيعات التي يشتريها الزوّار تضاف اليوم أرباح مصانع الأحذية والعلب .وتلك علامة على حلول نظام بشري مبرمج محل النظام الديني القديم... انها سمة من سمات التغيير الذي تتعرض لها البلدان القديمة الوفية لثقافتها بإيجابياته وسلبياته. ومع ذلك فمن الطبيعي أن تبقى النجف وكربلاء قطبين مهمين في مجال الطقوس والإيمان

(...)حالياً النجف لها غرفتها التجارية، وبعض أعضائها يحمل اسماً، كما هي العادة عند الشيعة، يخلد عنوان قصيدة شعرية أو رائعة من روائع الأسلاف المشهورين في هذه المدينة الحافلة بالذكريات، نكتشف رموزاً في كل خطوة نخطوها .

انّ الأهمية القصوى التي تكتسبها طقوس الحزن والمأساة، والتقليد الذي يعتمد الكتمان، يعطيان للحياة طابعاً يجعل السياسات الجديدة القائمة تحاربه أو تتحالف معه بعد فترة قصيرة من انقلاب ١٤ تموز ١٩٥٨ م الذي تأسست على أثره الجمهورية تصادفت ذكرى مذبحة كربلاء، حينها أدانت الصحافة العراقية المحاولة التي قارن من خلالها البعض بين الشهداء الأولياء الطاهرين وشهداء الثورة الذين لا يخلون من الدنس. وأياً كان الأمر فإننا سنحتفظ بما تفرضه دراستنا الحالية من سهولة التداخل بين الحقب التاريخية، التي يمكن أن نقع فيها نحن أيضاً... ففي هذه المدن المقدسة يوجد عنف زمني مترافق مع احساس تعويضي يتجسد في اطار

المعالم التاريخية والاحتفالات والمقابر حيث يسود ارتباط متبادل بين الجماعة وطقوسها المحلية ...ومما يؤسف له أننا لا نمتلك المعلومات الكافية التي تبين كيف تحل هذه التطورات المعاصرة تلك التضامنية أو تقسمها أو على الأقل تغيرها فقط . ومع ذلك لا يبدو مستحيلا تصويبها لفترة بعيدة في الزمن بطريقة واضحة. وذلك لأن لدينا شهادات داخلية متعلّقة بهذا الموضوع، انها كتابات المثقفين الذين ينتمون الى الجيل السابق. انّ نظرتهم تنال عناية خاصة وتميز من نظامها نفسه وتساهم في عمل أهمله التاريخ الاجتماعي طويلا كمرجع لا غنى عنه النجف في نهاية القرن الماضي ينطلق جاك بيرك في وصفه للحالة العلمية والاجتماعية في النجف من خلال ما كتبه محسن الأمين من ذكريات في كتاب أعيان الشيعة الذي نشره ابنه عام ١٩٥٧م كان محسن الأمين في عام ١٨٩٠م طالباً في جبل عامل) جنوب لبنان) قد وصل إلى النجف وأقام بصورة متواضعة في حي الحويش قرب أستاذه الذي استمد منه المثال والعلم والعقيدة. ولم يفعل بذلك سوى تقليد الكثيرين من أمثاله الباحثين عن العلم. برز من بينهم الكثير من التقاة العبّاد، وغيرهم من الغواة المنصرفين عن العبادة، ذلك لأن الحكمة كماء المطر: إذا سقط على فاكهة مرّة فسوف يزيدها مرارة، أما إذا سقط على فاكهة حلوة فتزداد حلاوة وعذوبة.

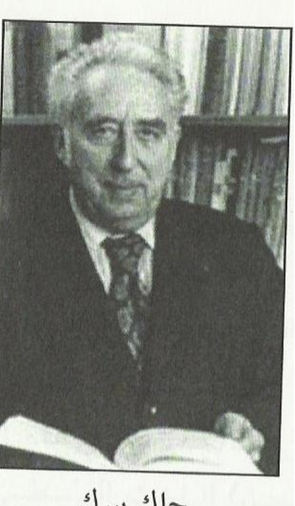
عندما كان محسن الأمين يدرس على يد أساتذة وعلماء كان هناك طلاب آخرون يدرسون على يديه ويتعلمون منه. كان أساتذته آنذاك من الفرس والأتراك والعرب يمكن أن نذكر من بينهم محمود طه النجفي، السيد محمّد الطباطبائي، بحر العلوم، وعدد من الشيوخ من عائلة دينية مرموقة هي آل كاشف الغطاء، وغيرهم من عائلة القزويني. إنّ كثيراً من تلك الأسماء تحمل دلالات ومرجعيات مقدسة مثل بحر العلوم وكاشف الغطاء .

تتضمن الدراسة الدينية في الحوزة النجفية حلقتين دراسيتين: الأُولى تُدعى (السطوح) وهي عبارة عن مبادئ أولية ومختصرات لكل علم من العلوم الدينية

واللغوية، تدرس في البداية قواعد اللغة العربية والنحو والصرف والبلاغة والمنطق ومن ثمّ الأصول والفقه وعلم الإلهيات والطبيعيات. الحلقة الثانية وتُدعى (البحث الخارج) فالأساتذة يتبرمون ويهجرون المواد والكتب المقررة ويقوم الاستاذ بطرح وتعليم مواضيعه الخاصة وعرض الأسئلة الجوهرية المتعلّقة بالدين بعد اغنائها بالاستشهادات والاستنتاجات والتعليقات والشروحات والردود والمخالفات حيث يشارك فيها الطلاب المتلقون كما يحلو لهم كل حسب طاقته وقدرته.
هذا الوصف غريب، وإنما يقوم الاستاذ في هذه المرحلة بطرح الآراء المختلفة ويناقشها ثمّ يعرض رأيه ويستدل له فتكون المناقشة من الطلبة للوصول إلى الرأي الأصوب، وقد يقتنع الأستاذ برأي الطالب فيعدل عن رأيه(اللجنة .(إنّ صفة أو درجة العالم المجتهد تنتج عن تلك الممارسات الطويلة حيث يبقى عدد قليل من بين النادرين الذين تتمخض عنهم دروس الخارج. وغالباً ما تكون طرق التدريس الروتينية وعدم كفاءة هذا الأستاذ أو ذاك، والصيغة الطوعية المطلقة السائدة على مجمل النظام التعليمي الديني العالي، هي التي تحتفظ بالطالب في المستويات الدنيا للتعليم وتُضلّ نفسه بصورة نهائية. هناك صعوبات ناجمة عن طبيعة المواد المدروسة ذاتها وقد حاول سابقونا ومن بين معاصرينا الأقدم منّا توضيح تلك الاختلافات وأمضوا الأشهر والأيام في ذلك إلاّ انّ التعريفات كانت تبدو لهم من هذا الطرف أو من ذاك مبالغ بها وقابلة للنقد. وأوّل مَن تعرّض للنقد وعارض هذه الاشكاليات هو أستاذنا الشيخ الملا كاظم الخراساني وهو أكثر علماء عصره الأفذاذ انتقاداً لهذا التعقيد الذي يهيمن على التعليم بين علم الأديان والقانون. انّ طول مواد الأصول المملة، والتهاون في الحديث ونقد سلاسل النقل والروايات والأحاديث أمر مشترك في جميع انحاء العالم الإسلامي مما يجعل من هذا الجيل بعيداً عن الاصلاح التربوي ومقدماته . وبالرغم من انشغاله الكبير بالعلم إلاّ أن الشيخ محسن الأمين شارك في حياة المدينة النجف لذلك فإنّ وصفه يحتوي على معطيات ثمينة عن فترة زمنية قريبة لكنها غير معروفة جداً. كانت العملة النقدية

وقتذاك نادرة في المدينة، فالتاجر أو ربّ العمل يقترح مبلغ ٦ روپيات تركية كتعويض أو مرتب لمؤذنه الخاص للسنة كلّها. ومن ثمّ الخاجية، وهي نوع من العباءة الخفيفة تساوي قرش (فرنك قديم) . أحد الزبائن يقدم فلساً ايرانياً لبائع باذنجان فيرد هذا الخبر :
أنت تريد أن تشتريني؟ وفي الأزمات أو الندرة ترتفع الأسعار وغالباً ما يحلّ الجوع محل الوفرة، وهو ما يعني خراب الباعة والتجار والمستهلكين على السواء في اقتصاد مهزوز وغير مستقر والذي يدفع ثمنه هم الفقراء، وهم يعرفون ذلك ويتضامنون فيما بينهم ويتساعدون. ففي داخل الصحن المبارك يعمل خباز يأتي الزبائن إلى سفطه الحاوي للأرغفة ويلجأ إلى الطلاب وهو يصنع نوعاً من الخبز يُدعى المهدى ويبيعه بالتقسيط ويكتفي بوضع خط أمام اسم الطالب الزبون على قطعة من خشب ، وعندما أضاع أو فقد الشيخ محسن الأمين يوماً خشبته التي عليها دينه للخباز لم يضطرب لأن الخباز يثق به ويضع بدلا منه خشبة جديدة حسبما يعترف له الطالب الزبون بما عليه من دين ويستمر البيع بالدين هناك كثيرون مَن يخشون اللّه في هذه المدينة التي استمدت مكانتها وبركاتها من القبر المقدس الذي يشرفها وهو قبر الإمام علي) عليه السلام (الاشادة بفضل النجف يشكل معلماً مشتركاً لدى جميع الكتاب وكاتبنا لم يشذ عن هذا القاعدة فهو يحتفي ويشيد بمزايا وصفات سكان النجف وما يتميزون به من حيوية وكرم وصبر وأناة واقتصاد. بعضها متناقضة وبعضها الآخر غير مهمة. ويتمتع الناس بهالة احترام كبرى. وللمفارقة لا يلفظون أبداً اسم امرأة. فحشمتهم تصل بهم إلى حد تفادي لفظ كلمة نسيب من الأرحام أو القريب عن طريق النساء في العائلة، فكلمة نسيب توحي بالضروة المثيرة بالاضطراب .فالحشمة تمنع الناس من الحديث حتى عن التحدث عن الأكل فبدلا من قول كلمات أو جمل من قبيل (وجبة طعام) يقال: الكرم أو نعمة اللّه لأن كل شيء يأتي من اللّه. هناك سمات أُخرى للنبل أو العادات الجميلة التي تعني أن الزوج يكون دائماً قراباً أو عائلياً

حيث يتزوج الشاب دائماً بابنة العم ومن ذوق الأهل عدم التدخل في الخصومات والمشاحنات الزوجية أبداً، ما يعني كما يقول الشيخ محسن الأمين انه لن تحدث حالات طلاق أبداً. إلى جانب ذلك تكون المهور المدفوعة متواضعة لأن الصلات العائلية هي القانون المفروض. (٢٤)



جاك بيرك

---

(٢٤) **النجف من الفرات إلى جبال الأطلسي، باريس، ١٩٧٨م Jacques Berque, De l'Euphrate à l'Atlas, Paris, Sindbad, 1978 النجف وكربلاء بالأمس**

١٨- عباس المكي
(سنة ١١٣١ هـ)

قال السيد عباس المكي في كتابه (نزهة الجليس) بعد ما أنشد هذين البيتين:

يا صاحب القبة البيضاء على النجف　　من زار قبرك واستشفي لديك شفي
زوروا أبا الحسن المولى لعلكم　　تحضون بالأجر والإقبال والشرف

تشرفنا بزيارة الامام المؤيد بالنصر والفتوح وضجيعيه آدم ونوح، وقد عقدت عليهم قبة عظيمة، وأول من عقد هذه القبة عليهم عبد الله بن حمدا في دولة بني العباس، ثم عمرها الملوك من بعده. ثم قال: سنة ١١٣١ هـ أتينا على أرض الأثيلة. وبينها وبين أرض النجف ـ مشهد عليّ بن أبي طالب (كرّم الله وجهه) ـ نصف مرحلة.. فخرج إلينا أهل النجف بأنواع المأكول الطيب، والمشروب الهنيء، والمشموم الزكي، ولطائف التحف. وبتنا تلك الليلة ـ يا صاح ـ بأكمل السرور، وأتم الأفراح. والتقى الخلان والأصحاب، واجتمع شمل الأحباب بالأحباب.

لئن عاد جمع الشمل في ذلك الحمى　　غفرت لدهري كلّ ذنب تقدما

وزال عنا بؤس السفر والمحن، وأعاد الله كلّ غريب إلى الوطن.. فلما أسفر وجه الصباح، باليمن والفرح والنجاح؛ عن ثالث صفر، المقرون بالخير والظفر؛ دخلنا مشهد أميرالمؤمنين، ويعسوب الدين؛ ليث بني غالب، إمام المشارق والمغارب، أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب... فتشرفنا بزيارة الإمام المؤيد بالنصر من ربّه والفتوح، وضجيعيه الكريمين آدم ونوح. وقد عقدت عليهم قبة عظيمة، في زينة وسيمة وأول من عقد هذه القبة عبدالله بن حمدان في دولة بني العباس. ثم عمّرها الملوك من بعده. وبها من الذهب الإبريز، والجواهر، وخالص اللجين، وأنواع الفرش الفاخر؛ ما يكل عنه قلم الحاصر. والبلدة رخية أمينة، طيبة حصينة. سورها مكين. وهي جنة المتقين. وأهلها سادة كرام؛ ملجأ الخاص والعام.

لا عيب فيهم سوى ان النزيل بهم　　يسلو عن الأهل والأصحاب والوطن

فأقمنا ـ هناك ـ شهراً تام، في أرغد عيش مدام. ونزلت بدار العالم العامل النحرير الفاضل؛ مولانا الشيخ إبراهيم الخميسي. واجتمعت بالولي الشهير، المجتهد الكبير، العابد الزاهد، بحر المعارف والفوائد؛ تاج السادة الأكارم مولانا السيد هاشم.واجتمعت بالعالم العامل الفاضل، التقي النقي الكامل؛ الشيخ محمّد يحيى الخميسي.واجتمعت بالفاضل الأديب، العاقل الكامل الأريب، الشاعر الماهر اللطيف، المؤنس الظريف، مولانا الشيخ يونس بن أنس ـ لا زالت أنوار الكمالات من أنوار كماله تقتبس ـ واجتمعت بالسند السيد، المعتمد الأيد، الأمجد الأنجد، الأسعد الأصعد؛ مولانا السيد مراد، حاكم المشهد. وحصل لي منه الاكرام والقبول ـ أدامه الله (تعالى) بالرئاسة والعز، ماهبت الدبور والقبول، وبلّغه من دنياه وأُخراه كلّ سُول.واجتمعت بكثير من العلماء، ورثة الأنبياء الكرماء وسعدنا ثانياً (فتشرفنا بزيارته) وذلك من سعادته

١٩ - السيد عبد الرحمن شرف

السيد عبد الرحمن شرف صحفي رحالة صاحب جريدة السفير التي كانت تصدر في الإسكندرية تحت عنوان رحلته في (الشرق المجهول) بعددها المرقم ٣٠ والمؤرخ ١٨ ديسمبر سنة ١٩٢٨

قال في رحلته: لم يكن في (مدينة النجف) خلال بسط النفوذ التركي عليها رغم جودة هوائها وحسن مناخها أي أثر من آثار الحضارة والعمران وكلما تمتاز به هذه (المدينة) المقدسة هو وجود ضريح الإمام علي بن أبي طالب فيها

وقد عني بتشييد هذا الضريح وتنسيقه وزخرفته في صورة تبهر الألباب وتسبي العقول أشهر مشاهير مهندسي الفرس وكان ذلك تحت إشراف ملوك إيران وأمراء الهند وعظمائهم ولقد زاد في جمال ذلك البناء الفخم بعض سلاطين آل عثمان وحكام العراق أما الضريح فقائم في مقصورة مربعة طول كل منها ثلاثة أذرع بوجه التقريب على ما أذكر وهكذا ارتفاعه .

وهذه المقصورة تعلوها قبة شاهقة عظيمة يزين سقفها نقوش هندسية بديعة ، وآيات من الكتاب العزيز وأحاديث نبوية تختص بآل البيت وكلها محلى بالذهب الأبريز

ولهذه القبة من الخارج شكل قلما يوجد له نضير بين قباب الأضرحة والمساجد أيضا في العالم كله ، إذ أنها مكسوة بطبقة نحاسية تعلوها طبقة ثانية من الذهب الخالص ويبلغ سمك هذه الطبقة الذهبية ثلاث (مليمترات) على ما أكد لي بعض الفنين المطلعين على بنائها .

وهكذا شرفات المآذن الكبيرة والمحيطة بالقبة الذهبية فإذا ما أشرقت شمس بأشعتها على تلكم القبة والمأذنتين قد تجد إلى (النجف) وهو على بعد أميال منها

بريقا يأخذ بالأبصار ، وتألقا يشع النور في الفضاء ، ويرتفع إلى عنان السماء أما الأموال التي أنفقت في سبيل كساء القبة وحدها بطبقة ذهبية فتقدر بمبالغ طائلة جادة بها نفوس ملوك الفرس وأمراء الهنود وسواهم من أثرياء الشيعة ،

ويحيط بضريح الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) رواق واسع لطواف الزائرين ، ولهذا الطواف وكذا الزيارة نظام ينفذه أناس عديدون وفي الرواق المذكور من الزخرف ونفيس الآثار القيمة ما يدهش العقول

ومدخل الرواق محلى بطبقة من الذهب الإبريز أما بابه فمصنوع من الفضة وحوله فناء واسع يحيط به سور عظيم شيدت إلى جوانبه غرف عديدة خصص بعضها لسكن القائم على صيانة الضريح ورؤية شؤونه والبعض الآخر لتعليم الأطفال وبيع الكتب وغير هذا من المتاجر ،

ويوصف أمين الضريح (بالكليدار) وهي كلمة فارسية معناها حافظ المفتاح ولا بد أن يكون من الأشراف الذين توارثوا سدنة الضريح ولهذا الأمين نفوذ كبير لدى الخاصة والعامة (٢٥).

---

(٢٥) موسوعة النجف الاشرف :ج٤ ص ٧٤



٢٠- لويس ما سنيون



ولد في نوجان على المارن ،احدى ضواحي باريس عام ١٨٨٣م لاب فنان كان يوقع تماثيله باسم بيير روش فتعرف بفضله على هويسمان ، والاب دي فوكو ، وحصل على التوجيه من ليه لوي لجران عام ١٩٠١م فقام برحلة الى الجزائر وحصل على ليسانس الاداب عام ١٩٠٣م ودبلوم الدراسات العليا في بحث عن المغرب بعد زيارته لها عام ١٩٠٤م واشترك في مؤتمر المستشرقين الرابع عشر في الجزائر عام ١٩٠٥م حيث تعرف الى كوزيهر ، وآ ستي بلا ثيوس فاصبح مع سليفن ليفي وسنوك – هرجو نجه ولي شا نيليه ، احب اساتيذه اليه في الاستشراق ، ولما نال من المدرسة الوطنية للغات بالمعهد الفرنسي للآثار الشرقية في القاهرة فعنى بالآثار الاسلامية ، وقصد بغداد فوصلها في ١٩ كانون الاول ١٩٠٧ م واتصل بالألسرة الالوسية ، وتعرف على العلامة السيد محمود شكري الالوسي ، ونزل بدار احمد اغا في محلة الحيدر خانة القريبة من العاقولية ، واكتشف قصر الاخيضر عام ١٩٠٨ م ، ثم غادر بغداد عائدا الى القاهرة في ٨

حزيران ١٩٠٨م واسمع الى دروس الازهر بالزي الازهري ، واندبه الجامعة المصرية استاذا لتاريخ الفلسفة عام ١٩١٢- ١٩١٣م ، ثم رحل الى الجزائر عام ١٩١٤م واشترك في حملة الدرنديل عام ١٩١٥- ١٩١٦م وطوف في الحجاز والقاهرة والقدس عام ١٩١٧- ١٩١٩م واقام في القدس وحلب ودمشق والاستانه ، ثم رجع الى باريس فعين معيدا في كرسي الاجتماع الاسلامي في معهد فرنسا عام ١٩١٩م- ١٩٢٤ م واستاذ كرسي عام ١٩٢٦-١٩٥٤م ومديرا للدراسات العلمية حتى تقاعد عام ١٩٥٤م وكان قد حصل على الدكتوراه برسالة ماساة الحلاج من السربون عام ١٩٢٢م وتولى تحرير مجاة العالم الاسلامي عام ١٩١٩ ، توفي عام ١٩٦٢ م صدرت عنه عدة دراسات منها (ذكرى ما سنيون) القاهرة عام ١٩٦٣(منوعات ما سنيون) دمشق عام ١٩٥٦م(خطط الكوفة المقدمة ص٩، نجيب العقيقي ، المستشرقون ، نشر دار المعارف بمصر ج١ ص ٢٨٧ – ٢٩١، عبد الحميد العلوجي : من تراثنا العلمي ١٩٦٦،ص ٢٧- ٢٩

قال في كتابه خطط الكوفة:

كان أسم النجف (أو نجف بكسر النون : تل أو سليبان) يطلق قديما على الجزء الغربي المطل على البحيرة المالحة من ذلك اللسان الذي تقع الكوفة في النقطة الشمالية الشرقية منه في جهة الفرات وهذه الذروة سارت في عصر اللخميين تسمى بالغري حيث كان الأمير ماء السماء قد نصب عليها عموديين الغريين وعلى مقربة منها تأسست القرية المسيحية التي سميت (بدومة الحيرة) وحوالي عام ٢٨٠ هـ / ٩٠٢م حظي الداعي الزيد الديلمي زيد بن محمد ٢٧٠ــ ٢٨٧ هـ بتشييد قبة أجلالا لعلي المدفون هناك وزاد في بناءها وعمارتها أبو الهيجاء الحمداني ٣١٧هـ .

وفي حكم البويهيين أصبحت هذه القبة كعبة الزوار ومنذ ذلك العهد أخذت الأسر العلمية الشيعية في الكوفة تتنقل الى الغري وتقطنها ، أما مقبرة النجف (وادي السلام) فمقدسة كمقبرة وادي الصفاء بكربلاء وللنجف خريطة متقنة

وضعها نيبور niabuhr ، فأفادتني كثيرا في أيام أقامتي بالنجف من ١١ ـــ ١٧ مارت ١٩٠٨

واليك وصف محلاتها الأربع حسب ملاحظاتي حين ذاك :

محلة حقيرة تكنها عشيرة الشمرت تسمى المشراق : في الشمال بين باب البحر القديم (المسمى اليوم بباب الثلمة) وباب الصغير .

ثلاث محلات واسعة لعشيرة الزكرت وهي العمارة : وتشمل الجامع وسوق القاضي والحويش ـ الصغير والكبير ـ في الجنوب والبراق مع سوق الكبير في الشرق .

وعند عودتي سنة ١٩٣٤ وجدت النجف لم تتأثر كثيرا من جراء أنقطاع الزوار الأيرانيين عنها منذ سنة ١٩٢٥ بخلاف كربلاء والنجف بلدة بدوية محظه وعربية بحته وهناك محلتان جديدتان لازالتا في دور التشييد أحداهما في الشمال والأخرى في الجنوب وتقعان عموديا على البحيرة المالحة بالرغم من أن البلدة القديمة لم تزل قذرة جدا توجد هناك أنابيب تجلب اليها الماء من الفرات بينما في سنة ١٩٠٨ لم يكن هناك سوى الآبار ومجرى صغير من الماء الكدر (جدول النجف) وكانت عديمة الزرع والخضرة . (٢٦)

---

(٢٦) خطط الكوفة ص ١٣٠

٢١- السيد محسن الامين

هو السيد محسن ابن السيد عبد الكريم العاملي يتهي نسبه الى الحسين بنذي الدمعة ابن زيد الشهيد.نزيل دمشق الشام ،ولد بقرية شقرا في حدود سنة ١٢٨٢هـ.هاجر إلى النجف الاشرف فبقي هناك خمس سنين ثم خروج منها في اواخر جمادي الثانية من سنة ١٣١٩ هـ قرأ في الفقه والأصول على يد:الشيخ محمد طه نجف . الشيخ ملا كاظم الخراساني توفي في دمشق سنة ١٣٧١ هـ – ١٩٥٢ م. له عدد من التأليفات المهمة منها : اعيان الشيعة . الرحيق المختوم . ديوان شعره . الحصون المنيعة (رسالة في الرد على صاحب المنار) . تحفة الاحباب في آداب الطعام والشراب . كشف الارتياب . معادن الجواهر. المجالس السنية في مناقب ومصائب العترة النبوية . لواعج الاشجان . مقتل الحسين ومراثيه . الدر الثمين . مفتاح الجنان . خطط جبل عامل (ينظر في ترجمته : الاعلام ج٦ / ١٧٤ ، اعيان الشيعة ج٤٠ ، الرحيق المختوم / ٣٣٩، معجم شعراء الشيعة ج٢٦ / ٢٢٣).

رحلته الى النحف الاشرف

جاء في كتابه رحلات السيد محسن الامين:

وعلى نحو من مسافة ثلاثة فراسخ ، لاحت لنا القبة الشريفة كالجبل الشاهق في الجو، تتلألأ علىذهبها الابريز الناصع اشعة الشمس ، وتملأ العيون والقلوب بالابهة والجلال والخشوع ، ففاضت العين دمعا لفرط السرور والفرح ، ويا لها نعمة عظمى هي مشاهدة تلك الانوار الشريفة بعد اربعة وثلاثين عاما فأنشأت اقول من قصيدة:

الى الجانب الغربي من ارض بابل	**حنيني واشواقي وفرط بلابلي**
ولي نحو كوفان تباريح وامق	**وبالنجف الاعلى لبانات آمل**
توطنته دهرا وغصن شبيبتي	**بنيل الاماني ناضر غيرذابل**
وفارقتها كرها ثلاثين حجة	**ونيفا فردتني اليها وسائلي**

وفيها اقول:

فما هي الا ساعة اذ بدت لنا	يلوح سناها قبة المرتضى علي
تلوح كطود شامخ في ارتفاعه	وتبدو كبدر في الافق كامل
ولما بدت للعين عن بعد غاية	اهلت بدمع كالسحائب هاطل
وردنا فرزرنا روضة طاب نشرها	تعاظم عن تشبيهها بالخمائل

وبوصولنا الى النجف قصدنا الحرم العلوي المطهر(٢٧)

الحضرة الشريفة العلوية:

والحضرة الشريفة العلوية تقع وسط البلد ، وان كانت المسافة منها الى اخر البلد قد تختلف وهي بناء مربع يحيط به رواق من جهاته الاربع يحيط بها صحن من جهاتها الثلاث ، عدى الجهة الغربية فليس فيها سوى مم مسقوف

ويحيط بالصحن أوا وين من الجهات الثلاث المذكورة ، داخلها حجر بطبقتين علوية وسفلية ، والاواوين داخلها وخارجها كله مرصوف بالكاشي الفاخر، الذي ابدع فيه النقش ، وقد زين اعلاخا بالايات القرانية الشريفة وكذلك حيطان الحضرة الثلاثة الخارجية

وللحضرة ثلاث ابواب : قبلي مسدود، وشمالي ، وشرقي امامه (طارمة) مفروشة بالبلاط وفوقه ايوان قد كسي بأجر النحاس المذهب المقرنص.

والحضرة الشريفة قد زينت بالمرايا وازرت بالبلاط الذ كل بلاطة منه نحو القامة وفرشت ارضها بالبلاط ، وكذلك الصحن الشريف كله مؤزر بمثل هذا البلاط ، والصحن كله مفروش بالبلاط ، وكذلم الاواوين.

وكان للصحن ثلاثة ابواب : شرقي يسمى باب السوق الكبير، وشمالي يسمى باب الطوسي، وقبلي يسمى باب القبلة،ثم احدث فيه باب رابع غربي ويسمى باب الفرج ، وجعل اماه سوق .

(٢٧)رحلات السيد محسن الامين ، ص ٩٠وص ٢٣٠

ةتنار الحضرة الشريفة اليوم بالكهرباء بواسطة آلة خاصة بعدما كانت تنار بالشموع ، وفيها شمعدانات كبيرة ضخمة من النحاس تزن ارطالا ، كانت معدة لوضع الشموع العسلية ، ويوجد مثلها وبعددها من الفضة ، ملبسان من اعلاها واسفلها بالذهب الابريز، من وقف السلطان عبد العزيز العثماني ، وعليها الطغراء العثمانية باسمه كما يوجد مثلها في كل من مشهد كربلاء والكاظمية وسامراء والشيخ عبد القادر والاعظمية(٢٨)

مكتبة الحضرة الشريفة العلوية:

وهي اقدم مكتبات النجف ، واهمها، كان فيها من نفائس المخطوطات عدد لايحصى، وجاء ذكرها في كثير من المؤلفات ، واستفاد الناس منها في اعصار متطاولة ، ثم اضمحلت بسبب الاهمال ، وعدم العناية بجعلها في غرفة تحت اشراف المسؤو لين ، واحصاء كتبها في دفاتر وجعل قيم لها براتب ، كما يفعل بسائر مكتبات الدنيا التي يراد بقاؤها لانتفاع الناس بها، ولكنها بقيت في غرقفة مقفلة عرضة للارضة وغيرها

وكان بعض اصدقاء نقباء الحضرة الشريفة يستعيرون منهم بعضها ويأخذونه الى دورهم فقد يرجعونه وقد ينسون ارجاعه أو يتعمدون فيموتون وهو عندهم

وقد أراني بعض ذراري أهل العلم كتابا عنده بخط العلامة الحلي ومن تأليفه : جزء من المختلف او المنتهى لم يبق في ذاكرتي ، مفتخرا بذلك وقد علمت بعد ذلك ان هذا الجزء كان استعارة السيد محمد سعيد الحبوبي النجفي العالم الشاعر المشهور من قيم الحضرة الشريفة ، ومات وهو عنده ثم وقع في يد هذا الرجل.

وقد بقي في هذه المكتبة الشريفة عدد صالح من المخطوطات ، فسعى الفاضل الشيخ محمد السماوي النجفي في نقلها الى حجرة من حجر الصحن الشريف ، وكانت فيها اوراق مبعثرة فجمع منها عدة كتب ورتبها ، وكان يرجو ان يتبرع احد بتجليدها

---

(٢٨)رحلات السيد محسن الامين ، ص ١٠٢

وقد زرنا هذه المكتبة الشريفة ورأينا ما بقي منها اهمها المصاحف الشريفة بعظها مكتوب على الرق (الجلد) ومنسوب الى خطوط الائمة عليهم السلام ، وبعظها مكتوب على ورق من خشب الرقيق ، وبعظها على الورق ، ومنها مصحف منسوب الى خط مولانا امير المؤمنين علي عليه السلام تاريخ كتابنه سنة ٤٠ هـ رايناه في هذا السفر سنة ١٣٥٢هـ
وفيها عدد من مؤلفات عبد الرحمن العتايقي الحلي ، واظن انها بخطه
ورأيت فيها كتابا يحتوي على قصائد لابن ابي الحديد بخطه في مدح خلفاء بني العباس قيل لي انه طبع في بغداد طبعا غير جيد
ومما اخبرني به الشيخ محمد رضا الشبيبي وزير المعارف العراقية سابقا، انه تكلم مع مدير الاوقاق في بغداد في ان يجعل منه عناية بهذه المكتبة، ويشتري لها قسما من الكتب، ويجعل لها قيما بمعاش زتجعل مكتبة عامة يستفيد منها كل احد فاجاب طلبه
فلما خابر من لهم الكلمة في النجف لم يقبلوا مخافة تدخل الغير في شؤونهم ، وظني انهم غير مصيبين في ذلك فوجود مكتبة يشرف عليها مسؤولون ضامن لبقائها اكثر من وجودها بدون اشراف مسؤول (٢٩)
طريفة:
ومما يستطرف من اخبار النجف ما اخبرني بعض الثقاة من اجلاء العلماء ، قال : عدت ف ييوم واحد صديقين لي كانا مريضين ، فقال لي احدهما لما عدته: أرأيت كيف تنار الحضرة الشريفة العلوية بالكهرباء، فأن هذا مما يسر النفس واني مسرور لذلك جدا ، فقلت له: الامر كذلك
فذهبت من عنده لعيادة الصديق الاخر فبعدما سألته عن حاله فقال لي: ان المرء في هذه الايام يود لو كان قد مات قبل سنين
فقلت له : لماذا ؟

(٢٩)رحلات السيد محسن الامين ، ص ١٠٥

فقال: تقول لماذا أ ليست الكهرباء فوق رأس امير المؤمنين
فعجبت من التفاوت في العقل بين هذين الرجلين(٣٠)
ومن شجون الحديث ايضا، والحديث ذو شجون ، انني جئت يوما عند الفجر لزيارة الحضرة الشريفة، فصليت الصبح هناك وزرت ودعوت وخرجت ، فاذا جمع من العوام مجتمعون في الطارمة التي امام باب الحضرة الشريفة الشرقي، وهناك سيد مكفوف البصر قد جلس على منبر يعظهم بمواعظ مناسبة يجب ان يوعظ العوام بمثلها ، ويذكر لهم مسائل دينية ما يجب ان يتعلموها
فسررت كثيرا لذلك لان مثل هذا الواعظ يندر وجوده في النجف او لا وجود له مع انه من اللازم المؤكد وجوده دائما
ولشدة سروري جلست في بعض الاواوين الشرقية بحيث اسمع كلامه ، واخرت الذهاب الى المنزل مع اشتغالي بما لا اريد ان اتعطل عنه دقيقة واحدة
وكان تحت الطارمة في ارض الصحن نساء من العوام مجتمعات لسماع موعظته مستترات اتم الستر، ويفصل بينهن وبين الرجال حاجز حجري فسرني ذلك ايضا ، لان مثل هؤلاء النساء يجب ان يسمعن المواعظ ويتعلمن الاحكام
ولكن لما فرغ الخطيب من موعظته وتعليمه وشرع في ذكر مصيبة الحسين عليه السلام ، صرخ النساء باجمعهن صرخة واحدة وتتابع صراخهن بين فترة وفترة ، فاشمأزت نفسي عند ذلك ، وقمت وذهبيت وقلت : سبحان الله ان هذه العبادة لم يدعها الشيطان حتى افسدها بصياح هؤلاء النساء الذي هو مستبشع مستهجن مستنكر(٣١)

---

(٣٠)رحلات السيد محسن الامين ، ص ١١٠
(٣١)رحلات السيد محسن الامين ، ص ١١١

٢٤- الليدي دراور

الباحثة الاثارية البريطانية السيدة (الليدي دراور) حيث كانت زيارتها للعراق عام ١٩٢٣م وكان ذلك في مطلع تشكيل الحكومة العراقية في العهد الملكي.وكانت الاجواء العامة في البلد –آنذاك– مستقرة نوعاً ما وهذا ما جاء في كتابها الموسوم (على ضفاف دجلة والفرات)



النجف مشهد علي ، المدينة المقدسة الاولى ، إن الدروب جميعا تفضي الى روما وهناك دروب عدة يسلكها الزائر الشيعي التقي فيصل الى مدينته المقدسة الاولى ، ذلك أن (النجف) أهم مزارات العراق ، سواء من الوجهه السياسية ، أم الوجهة الروحانية . ففيها يقيم (المجتهد الاعظم) عادة .... وفيها كنوز ونفائس ضخمة ، تجمعت عبر القرون فخبئت عن عيون البشر . وفي مقدور الزائر أن يسافر بالقطار إلى الحلة أولا ، فإن كان على حظ من اليسار أستأجر سيارة خاصة تقله إلى (كربلاء) فالنجف ، عبر الطريق الصحراوي . وإن كان عائلاً أتخذ مقعده الخشبي في سيارة ركاب ، واهية الواصلات ، تقطع الطريق من بغداد ببطء على أساس المبيت كل ليلة في أحد الخانات الكائنة عليه () وفي ((الخانات)) هذه يجد الزوار أجنحة يحلون فيها بدون أجرة ، وعليهم أن يعدوا طعامهم وفراشهم فيها . ومن

الزوار من يقطع الطريق هذه على ظهور الخيول أو الابل . ورقيقوا الحال ىمنهم يقطعونها مشيا على الاقدام ، ومنهم من يقضي نحبه فيها بسبب الاعياء أو المرض وما الى ذلك ، وهناك سيل لاينقطع من جثث الموتى تحمل على هذا الطريق إلى العتبات المقدسة .فأقصى ما يطمح اليه الشيعي أن يدفن في أرضها المقدسة .... وإنك لتشاهد القوافل من كل الذي وصفناه تمر، وما لها من فواق ومن الناس يعيش على الموتى ، ونقل جثثهم حصرآ .



وأتخذت لزيارة (النجف)طريق الحلة سبيلآ . فأتبعنا أولآ طريق الزوار عبر الصحراء حتى بلغنا الكوفة ، كان ذلك في يوم من أيام شباط ، والسماء شاحبة اللون ، وعلى غرار ما يشاهده المرء (بالحلة) تحيط بها المزارع وتكتنفها النخيل ،

وشاهدنا (برس نمرود) يتعالى على يمين طريق ويرتسم على صفحة السماء الزرقاء ، وأتبعنا آثار السير على ، طريق الصحراء ، وكنا نعبر تارة قناة ري ، أو نمر بواحة من النبت تارة أخرى . وعند الظهيرة وصلنا (الكفل)وهي بلدة تقع على يمين الطريق وقائمة حول مرقد (حزنقيال النبي) الذي يجله المسلمون واليهود على حد سواء . وللمرقد هذا قبة مخروطية الشكل ، بيضاء تتعالى بين النخيل ، ولم يكن لدينا من الوقت متسع لزيارة المرقد ، وسارت السيارة بنا في سرع سريع وهي تمر بواحة إثر واحة حتى وصلنا (جسر العباسيات) ، وهو جسر عائم على قوارب ، فعبرنا عليه نهر الفرات ، وتناولنا الغداء في مقهى عربية مغطاة بالحصر والبردي ، وهناك طريق أخرى تمر بـ (التاجية) ، وهي منطقة يتكاثف فيها النخل . وكان علينا أن نعبر الفرات كرة أخرى لنصل الكوفة . ولم نتوقف في هذا المكان ونبذنا طريق الزوار المعتاد وسرنا على الطريق المؤدية إلى (أبا صخير) وأتخذوها مقراً للحكومة ، ذلك أن (الجعارة)– وهي على مسافة ساعة منها – موبوءة بالملاريا ، وكثيراً ما كان موظفوها يمرضون بهذا الوباء ، وأبو صخير على مفترق قناة تتفرع من الفرات . إن بساتين النخل تتواصل على حافتها حتى الجعارة .

وفي (أبي صخير) سوق صغيرة ،أما الجعارة بلدة نظيفة ، يزدحم في أسواقها البدو ، وهي لطيفة في الربيع ، ولها جسران مشيدان عبر قناتها ، وفيها شوارع ضيقة متلوية وبساتين فيح غناء ، وأستضافنا بها (السيد عباس زوين)، وهو ذو نسب عريق شريف ، وكان السيد عباس قد أتم في زمن زيارتنا له (المضيف) وبناء كبيته ، بالحجارة التي جيء بها من (الحيرة) المدينة القديمة التي ما زالت آثارها قائمة حتى اليوم .

ولقد تهدمت كثير من بيوت الجعارة في أثناء ثورة ١٩٢٠ ، وتجمع السكان حولنا قرب الجسر عبر زيارتنا البلة رسمياً للسلام والترحيب ، وتقطع السيارة المسافة بين

(الحيرة)و(أبي صخير) في حوالي نصف ساعة ، وكانت الحيرة في الاصل مبنية على شرف الارض وعلى حافة منحدر يفضي إلى السهول الخضراء والمياه المتلالئة في بحر النجف () وتلي النطاق الاخضر في المنطقة التي أشرت اليها صحراء واسعة ممتد من البصر . هذا وإن التل الذي يضم اليوم بقايا آثار (الحيرة) – موطن الفروسية العربية في أسمها معانيها . والمكان الذي تحدى فيه العرب الفرس ، لايعدوا أن يكون كسارات حجارة وآثارأساس ليس غير ،

إن موقع قصر ملك الحيرة (أو شيخها) لا بد وأن يكون هنا ، قبالة هذا السهل المترامي تحته ، وملك الحيرة الذي حارب كسرى ، على ما يقول مؤرخوا العرب هو (النعمان) وفي هذا المكان نبه شأن البطل (عنترة) – وهو من أب عربي أمير وأم سوداء . ولقد شاع حبه لبنت عمه (الاميرة الجميلة عبلة) . وتمر نسمات الهواء الصحراوي الطلق النقي على نشز الحيرة ، وتتلالا الارض حوله بالحصى . وتصقل الرمال المنحدرة هذا الحصى حتى يكاد يصبح شفافاً ، ، ومررنا في طريقنا من (أبي صخير) إلى (النجف) بمضارب البدو : هذه قطعانهم ترعى عشب الربيع ، وهناك خيام الغجر (الكاولية) السود ، إنهم طائفة من الناس تحترف الموسيقى ، وبناتهم يرقصن على عزف رجالهم . .. وعلى نغمات الربابة () والطبل والمزمار ، إنهم على غرار الغجر في بلادنا ، وهم يحترفون تصليح الاواني والصحون ، وقد يتبارون على ظهور الخيل .. ولهم لغة خاصة ، وليس لهم حظ من سمعة طيبة . وقد تشهد الصحراء فضيحة أذ قد يهوى شاب من أسرة الشيخ الطيبة فتاة غجرية ويتزوجها . إن نسائهم على حظ من الجمال .

وعلى مسافة أميال من النجف صادفنا دورية صحراوية . ومكان رجالها حوالي الـ ٦ ، وعليهم إمارات التوحش ، لقد أندفعوا نحونا مسرعين وهم يصرخون صرخات مرعبة ، وبنادقهم مرفوعة في الهواء ، والرجل منهم ينظم شعره على الطريقة البدوية ، ويجعله في غديرتين مندليتين على كل من الكتفين . وتهاوت

بعض الكفافي والعقل والخيول هؤلاء الرجال منطلقة . إن لباس الرأس هذا (الكفية والعقال) ليس عملياً ، إذ سرعان ما يختل نظامه لاقل حادث ، وعلى لابسه آنئذ أن يعيد إليه النظام بحركة ميكانيكية وعلى غرار وضع العباءة على الكتفين ، وقد ينسى الانكليزي العناية بهندامه ولكن العربي لاينسى ذلك أبدى .

وترآءت النجف الآن وهي تطفو في سراب الصحراء الممتدة وتغرق ، تلك قبتها الذهبية المستديرة ، ومنائرها النحيفة ، وهي ترتفع فوق أسوارها الرمادية وكأنها صورة من الصور التي تحفل بها قصص الجان . إن المسافر المكدود التعب يرى فيها – بعد قطع الاميال الكثيرة – واحة جميلة فيها الروح والريحان ، فهي تضم شعائره ومقدساته ومأثوراته الدينية كلها . وفي مقدور المرء أن يرى القبة القبة المتلالئة من مسافة أميال عدة ، قيل أنها تبلغ ٤٠ ميلاً إن كان الجو صحواً رائعاً . إن المرقد يتعالى علواً كبيراً في سهل يمتد أمتداداً واسعاً . وتحت القبة هذه مرقد (علي الشهيد) رأس أسرة لم تفارقها المصائب الكبرى أبداً . والشيعة على الرغم من وداعة علي وتردده في الامور تضعه في المرتبة الثانية بعد (محمد) . وهناك طائفة تعتقد إن الاله حل في جسمه ، وكثير من الناس يعتبرونه الامام الحق ، وخليفة الله الفذ في أرضه . وروي السيد عباس الكيليدار – وهو ليس بالسيد عباس الذي ذكرته آنفاً – قصة تأسيس النجف ونحن جلوس نتناول طعام الغداء ، إذ قال :

ما إن أستشهد سيدنا علي في الكوفة إلا وحملوا جدثه على بعير ، وتركوه طليقاً ، وقالوا : لندفن الجث الطاهر حيث يبرك البعير . وجال البعير مسافة عدة أميال عدة ثم برك عند حافة شرف من الارض قائم فوق بحر النجف ، وعلى معبدة ساعة من الكوفة . وفي هذا الموضع بالذات دفن الجدث الطاهر .

ولم يتركوا على المرقد أية علامة لكي يستغلق أمره على أعدائه فلا يعمدون الى نبشه . ومضت على ذلك سنون عدة ، وفي يوم من الايام كان الخليفة هارون

الرشيد ()يصطاد الغزلان في مكان مجاور له . وأسرع الخليفة في أثر طريدة منها وكاد أن يظفر بها لولا أنها أتجهت صوب هذا الشرف ووقفت عنده مذعورة بلا حراك . وترجل الخليفة وصوب نحوها سهمه ، وىلاكنه لم يقدر على شد قوسه فشعر بالربكة وأخذ منه العجب كل مأخذ . ورأى الخليفة رجلاً جليلاً في محل قريب ، فسأله وهو يرتجف : ((ما هذا المكان ؟)) فأجاب الشيخ : ((أن أخبرتك عنه يا أمير المؤمنين قد يصيبني شر من وراء ذلك)) وأقسم الخليفة قسماً غموساً بالنبي أن لن يضر الشيخ بشيء وأمره بأن يفصح عن الحقيقة . وهنا قال الشيخ : ((إن هذا مرقد علي ، ولما كانوا يشفقون من أقلاق رميم عظامه ، فلقد أخفوا سره . هذا وإن الغزالة هذه تعرف أنها ما دامت تقف على مثل هذا الموضع الشريف ، وفوق رميم عظام الامام ، فليس في مقدور إنسان أن يصيبها بضرر . أحفر لتتحقق من صدق قولي)) .



وأخذ الخليفة يحفر الارض وما أن وصل إلى عمق ١٢ قدماً إلا ورأى قطعة من رخام تحتها عظام علي ، فأقسم غير حانث أن بقعة كهذه لا بد وأن تنال ما

تستحقه من تقديس وإجلال ، فبنى الجامع أولا ، وقامت بعد ذلك مدينة النجف)).وفي شمال المدينة وشمالها الشرقي مقابر غير مسورة ، وفيها أنواع من القبور منها تعلو القبب التي صرفت على تشييدها مبالغ طائلة ، وقد غشيت بالقاشاني الملون البهيج ، واللون الغالب فيه الازرق الشذري ، ومنها لا يعدوا أن يكون كومات من تراب . ويؤتى كل سنة بعدد كبير من جثث الموتى من إيران لتدفن في أيران والنجف . ولعل مما يبعث الدهش أن لا تكون المقابر هذه إلا بمثل سعتها الحالية ، فمقبرة كل من المدينتين لا تكاد تكفي موتى أهلها . وقيل لي أن هناك ١٠ آلاف قبر في النجف ، لا أكثر ولا اقل ، وآنف تقرير دفن الجثث السنوي راغم . فكيف تفسر إذ ظاهرة غريبة كهذه ؟ ولكل قبر ثمن وتحدد الثمن هذا درجة قدسية . وتحتفظ وزارة الاوقاف في بغداد بحسابات المبالغ المدفوعة هذه ، وهي تعنى بأن يكون صرفها في سبيل ((صيانة العتبات المقدسة)). ودفنالموتى في المقبرة العامة (وادي السلام) عملية زهيدة الكلفة ، إذ أنها لا تكلف أكثر من ٦ روبيات و٤ أنات (٨ شلنات تقريباً) . والدفن في مقبرة خاصة يكلف ٥٢ روبية ويكلف الدفن في المسجد أو حواشيه مبلغاً كبيراً من المال ، وقد يبلغ ٩٥٠ روبية ، في (الرواق) وقد يقل ذلك تبعاً لواقع الحال . وفي سنتي ١٩٢١ و ١٩٢٢ بلغت واردات بيع القبور أكثر من (٥٧ ألف) روبية . وأكثر شهور السنة إيراداً شهر نيسان ، وأقلها شهر تموز . وبلغت رسوم الدفن في كربلاء وحدها قرابة الـ ٢٢ ألف روبية . ويكثر الدفن فيها في شهرين تشرين الاول وتشرين الثاني من كل عام . ويضاف الى ذلك كله ان المدينة تحصل على مواد رابحة اخرى من تشييع الجنائز ،وبناء القبور ، وحفرها وما إلى ذلك .ويؤتى بالجنائزمن إيران في توابيت لا غطاء لها ، وقد تنقل على ظهور الخيل والبغال ، أو بعربات مفتوحة . فإن حملت على دابة ، علق تابوت كل من جانبيها . وما أن تصل الجنازة المدينة إلا ويأخذون في غسلها وتكفينها (وتلك حرفة مربحة أخرى) ثم يطاف بها حول المسجد وتدفن ، في

خاتمة المطاف ، ووراءها الروحانيين والمشيعون (وتدفع لهم الاجور لقاء ذلك) وبين التراتيل وتصاعد روائح البخور .

.... ووقفت بنا السيارة أول مرةعند (خانة الشرطة) حيث قتل الرئيس مارشال Capt . Marashall سنة ١٩١٨. وممن رافقنا من الاعراب رجل كان مع مارشال هذا عند مصرعه . ووصف لنا كيف أن قاتليه طلبوا باديء ذي بدء مقابلته وما أن سمح لهم بذلك إلا وأجهزوا عليه فوراً . ولو تحرينا أسباب مقتل هذا الضابط لوجب علينا أن نتعمق السياسة المحلية في المدينة ، ففي النجف طائفتان من الناس (الزقرت) و(الشمرت) ولكل طائفة قادتها ، وكثيرا ما يتعالى الخلف وينشب العراك بين الطائفتين بسبب الشنان التقليدي بينهما وعلى غرار ما كان يحدث بين طائفتي الكلف Guelph والغبلين Ghibelline في (فلورنسة) خلال القرون الوسطى .والطائفتان تجندان كل من خلع العذار وأهل البطالة في المدينة وليس في مقدور (المجتهدوين) فيها أن يضعوا حدآ لشجارهما ، وما تثيران من قلق أو إضطراب . والطائفتان تستخدمان المقاتلين بأجرة Bravoes ، كما أن خطرهما لا ينحصر بالمدينة نفسها ، فلكل من الطائفتين أنصار وأعداء خارجها . لذا قد يتطور عراك محلي داخل النجف إلى حرب قبلية () واسعة . وقد تتحد الطائفتان في بعض الاحيان كما حدث عند مقتل الرئيس مارشال . إن زعيم (الشمرت) .... الحاج سعدون أبن الحاج راضي هو الذي حبك مؤامرة قتل (الإنكليزي) بالدرجة الاولى وقيل كان على صلة بسيد الزقرت (كاظم الصبي) . ولم يكن للسيد محمد كاظم اليزدي (المجتهد الاعظم) في ذلك الوقت ضلع بالمؤامرة لذلك عصفت الحيرة به عند إرتكاب الجريمة وأخذ يضرب أخماساً بأسداس . وكانت سيطرة الانكليز على البلد آنئذ فوية وقطع الماء على النجف ، وبقيت الآبار في داخلها المورد الوحيد الذي يستقى منه أهلوها .وطوقت التلال العالية (التي سأعود لذكرها بعد حين) وأسقط في يد أهل النجف ، ولم تطلق أية أطلاقة ، وعرفت المدينة أنها لاتقوى علينا ، وتم تسليم القاتلاين الى العدالة (كذا !!) ،

وحكم على ١٣ منهم بالاعدام ، ونفي ٥ آخرون وأرسل بعض المشتبه بهم الى الهند .وساد الهدوء في المدينة أثر هذا الدرس الذي تلقته النجف ولم تنسه في يوم من الايام ، وأشدت حملة الصحف في بريطانيا تطالب بأنسحاب البريطانيين ، وأعتقد أهل المدينة أن قوتنا ضعيفة ، وكل ذلك هيأ السبيل للمكائد والدسائس من جديد ، وشد أزر أهل المدينة دعاة الوحدة العربية في سوريا ، لذلك فأن شرارة ثورة ١٩٢٠ لم تندلع الا في النجف بالدرجة الاولى.

إن النجف موطن الثورات ، وهكذا كانت في أيام الحكم التركي تناهض حكومته ... وهي وكربلاء ، اليوم موطن السياسيين المتطرفين (كذا !!) ؤالذين يقرأون الاوضاع الراهنة . وخير مثال على ذلك أجتماع كربلاء الذي عقد في ربيع سنة ١٩٢٢ . قيل أن السبب في عقده أتخاذ ما يلزم لصد غارات الاخوان أو الوهابين على ما زعموا والحفاظ على العتبات المقدسة لئلا يصيبها منهم مكروه . ولكن القصد الحقيقي من الاجتماع لم يكن إلا دعوة الشيوخ لتوقيع بيان ضد الانتداب وإتخاذ إجراءات حازمة لادراك الهدف المقصود .

إن لم يكتب لبيانهم النجح . وكان المجتهد مهدي الخالصي (الكاظمي) ، على رأس الحركة ، ويناصره فريق من المتطرفين ببغداد ، حضر رجال من الحاشية الملكية لإدارة دفة النقاش وتوجيهه الوجهةالسليمة أما (الوجهه السليمة) فلم تكن جلية واضحة . وتظافرت الجهود على حمل كبار المجتهدين على مؤازرة هذه الحركة . لكن قليلا منهم أثرت فيه الدعاية فآزرها فعلاً . ولم يسهم فيها شيوخ العشائر ، أصحاب التفكير المنطقي الصحراوي البسيط فلقد أدركوا باديء الرأي أن الـ (أفندية بغداد) (كذا !!) يدآ فيها . وألقى المعتدلون السمع الى مادار في الاجتماع .... وكان نصيبه الفشل في خاتمة المطاف ، وتضاءل ما كان للخالصي من سطوة ونفوذ .

ويلي (الكيلدار) المجتهدين في المقام . ومنصبه وراثي ، وهو القيم على كنوز العتبات المقدسة ونفائسها . ولا تطلب الحكومة أن تطلب منه أن يقدم حساباً عن الامانة التي بعهدته ، أن كنوز العتبات المقدسة لكبيرة جدا ، وهي على غرار ما تحتفل به الاساطير من نفائس وكنوز . وكل شيعي ملزم بأن يدفع مبلغا سنويا من المال لإدامة العتبات المقدسة وصيانتها . وعليه أن يؤدي فريضة الزكاة . وبجهود الزوار على العتبات المقدسة بالمنح والهدايا ، وعليهم أن يفوا بنذورهم فيها . وسنحت لي فرصة رؤية أحدى هذه الهدايا وهي تمر محمولة من بغداد . ذلك أن إحدى السيدات الفارسيات خافت على وليها المريض فنذرت أن تقدم درعاً ثميناً للإما عند شفائه . وتم ذلك ، والظاهر أنها ندمت عن النذر فسألت (الملالي)إن كان التحلل من مثله ميسوراً ،فأجابوها أن ذلك ميسور ، وعلى وجه التحقيق ، شريطة أن تدفع لهم ما يساوي ثمن الجوهر فيه فيه ليصرفوه على أعمال البر .ودفعت السيدة اليهم النقود ، ولكنها رأت بعد ذلك فيما يره النائم من حلم ، أن علياً مثل أمامها ووبخها على ما صنعت ... وأستيقضت المرأة من نومها مذعورة وسارعت إلى إرسال الجوهر إلى النجف ، وقام الابن نفسه بحمله ومعه سيف مرصع أيضاً ، إن الدرع المعلق بسلسلة ذهبية حول العنق عبارة عن منظومة من الماسات الضخمة ، والزمردات والصفيرات () إنه بدائي الطراز والصقلة ، وإن كان على جانب كبير من القيمة .

وتقوم سلطات الاوقاف بتسجيل مثل هذه الهدايا وتصويرها إن مرت ببغداد . وأستطعت أن أشاهد بعضها إبان أمرارها من العاصمة وتسجيلها .

وتنها ل على العتبات المقدسة الطنافس الثمينة ، والاحجار الكريمة ، وسبائك الذهب والمجوهرات ، والتراث () على أختلاف أنواعه ، ذلك بالاضافة إلى المال القليل والعطايا المتواضعة التي يقدمها لها فقراء القوم .

فهناك شق يعلو مرقد علي ومنه يرمي الزوار النقود والجوهر . ومفتاح المرقد عند (الكليدار) ، وهو الذي يجمع النذور والعطايا حصراً ، قيل أن كنوز كربلاء والفضة عرضت على (ناصر الدين شاه) عند زيارته لهما فبلغ وزن الذهب والفضه فيها ٧ أطنان ! ومن بين هذه النفائس سراج مصنوع من زمردة واحدة ، وثريات من ذهب خالص ، ومرصعة بالياقوت ، وسجادة مطرزة بالؤلؤ . وقبة النجف ومنثرها الاربع مغشاة بالذهب الخالص ، وهي من مآثر ناصر الدين شاه .

وبيوت هذه المدينة المسورة مبنية بالحجارة أو محفورة ، وفي خارجها تلول غريبة عالية . وأحد هذه التلول يشرف على باب النجف الجنوبي وأسوارها . ويقال إن هذه التلول نتاج تلك الاكداس المكدسة من التراب المستخرج من حفر السراديب وممراتها . وفي مقدور المرء أن يرى من أعالي التلول منظراً رائعاً لمدينة النجف و(بحر النجف) الممتد حتى حافة التل المنحدر . إنه واد ضاحك ضيق يتلالا فيه الماء وتزينه الخضرة . وإنك لتشاهد كل يوم الحمر الصغار تغدو وتروح و(الماء فوق ظهورها محمول) . وقد تسمع نقرات طوس الماء ، وهي مصنوعة من نحاس ، وأصوات باعته وهم ينادون عليه داخل شوارع المدينة . وتمتد الصحراء الواسعة حتى مد البصر ، وخارج نطاق الخضرة الذي يحيط بالنجف .

ورحب بنا في زيارتنا الاولى للنجف الكيلدار السيد عباس ... ومن معه نقيب الاشراف السيد هادي ، ومحسن شلاش ، وهو تاجر ثري ، وقليل وغيرهما من الوجهاء ، وجلس هؤلاء الرجال معنا للطعام في غير تحرج أو تزمت .

وكان مضيفنا رجلاً سمحاً كريماً ، وسرني أن أحظى بزيارة وزوجته اللطيفة ، وأن أتحدث إلى أبن أخيه ، وأرى طفلة الرضيع (السيد حسين).

والسيد عباس كهل ، وهو وسيم المظهر ذو لحية مهندمة يرتدي (سيدية) خضراء دلالة على نسبه الشريف . وغرفة الضيوف في بيته طويلة وضيقة ، وفي جانب منها

نوافذ تطل على فناء البيت ، وصفت (الدواوين) في جوانبها الاربعة ، ، وعلى (الدواوين) وأرض الغرفة فرشت طنافس فاخرة . إن جدرانها مزخرفة بالمرايا الفسيفسائية . ودعونا أن ندخل غرفة الضيوف لنرتاح فيها إن شئنا . إنها تشبه غرف النوم في العراق ، وأثاثها يتألف من سرير مزدوج كبير ، تعلوه ستائر وردية من حرير ، وغطاؤه من (الساتان) المطرزة بالفضة ، وقد وضعت علي وقد وضعت عليه نمارق من(الساتان)مطرزة بالذهب . ومساند الحرير منجدة بالقطيفة ، وهي ذات ألوان بدائية (٣٢)

---

(٣٢) على ضفاف دجلة والفرات ،ص ٦٧- ص٨٠

٢٥- يوسف هرمز (سنة ١٩٣٥م)

الكاتب والصحفي يوسف هرمز من اهل الموصل ،صاحب جريدة صوت الشعب اليومية السياسية دخل النجف سنة ١٩٣٥ وقضى فيها يومين ودون ملاحضاته الصحفية وقد نشرت هذه الرحلة على حلقات في جريدة الشعب البغدادية بدءا بالعدد ٣٦٦ الصادر في ٣ شهر رمضان ١٣٥٤ هـ /٢٩ تشرين الثاني ١٩٣٥م يقول فيما يخص المرقد الشريف:

مرقد الامام علي عليه السلام

ان الشيء الذي تفاخر به النجف المدن الاخرى هي وجود هذا المرقد الكريم فيها، مرقد الامام علي عليه السلام ومن هذا المرقد تستمد تربتها الشرف ورفع اسمها بين المدن الاسلامية الاخرى

فرأينا من الواجب وصف هذا المرقد الذي يؤمه المسلمون من اقطار الدنيا للتشرف بزيارته وذلك كما سمحت لنا الظروف من مشاهدة بعض المظاهر منه وعرفنا قليلا من السؤال من هذا وذاك

القبة الذهبية

يشاهد القادم الى النجف القبة الذهبية وهو على بعد عشر الكيلوا مترات تتلألأ في الجو مع منارتين الواحدة من هنا والثانية هنا على جانبي القبة ، يبلغ قطر القبة لعين الرائي على بعد نحو خمسة مترات في مثل هذا الارتفاع او اكثر من القاعدة التي يبتدىء بها العقد الى القمة ، فكل هذه المسافة مطلية بالذهب الخالص ، يشكل الاجر الكاشي ولكن من ذهب لا من الاسمنت وتحت احدى المنارتين الخزانة ... وما تحويه من المجوهرات التي لا تثمن (٣٣)

الابواب والمنائر

(٣٣) مجلة الموسم ع٥ ١٩٩٠ ص ٣١٣، مجلة افاق نجفية ع٢ ٢٠٠٦ ص ٢٤١

وللمرقد اربعة ابواب واروقة داخل الصحن ، وغرفة ومحل للضريح فكل هذه الجدرانمع سقوفها وواجهاتها رمثيل لها بالزخرفة والنقش البديع ، وان كانت القبة والمئذنتين نفيسة بالذهب فان هذه النقوش لاتقل نفاسة وروعة وجلالا وبهاءا وتنميقا وزخرفة عنها فهي كلها اية في الفن والجمال

وبجانب المنائر والقبة تقوم ساعة بديعة يسمع منها اهل المدينة الدقات ويعرفون الوقت بواسطتها

التدريس في المرقد

ويبتدي التدريس في هذا الجامع من اول اليل فيقوم الفقيه او العالم بالقاء محاضرات او تلقين الطالب الدروس الدينية

ولما كان المرقد الشريف هذا ينتهي في نهاية السوق الذي يشمل على اهم الحوانيت والمخازن فان العابر من اهل المدينة وغيرهم يمر فيه الى الطرف الثاني ومن ابواب المرقد يذهب الى الجهة التي يقصدها من المحلات او الاسواق الاخرى

ولا يجوز لغير المسلمين الدخول الى صحن هذا المرقد او المرور منه

الكنز الثمين

سمعت من سائح امريكي زار متحف مصر قال :(ني لم ار في حياتي ذهبا بقدر ما رأيت في امريكا واوربا)

فاما من حيق الرؤيا والمشاهدة فاظن ان طلاء المنارتين والقبة في النجف بالذهب يزيد هذا على كل مجموعة من الذهب يوجد منها في مكان واحد، ولكن كل هذا الذهب الذي يراه الزائر لايساوي شيئا بالنسبة الى الموجود في الخزانة التي تحت احدى المنارتين في هذا المرقد على ما روى الذين شاهدوها عندما فتحت منذ اسابيع قليلة

فان السيوف والخناجر المرصعة وقناديل وثريات ومجوهرات ثمينة من ياقوت وزمرد ولؤلؤ زالماس وفصوص من حجارة كريمة لاتحصى ولاتثمن ، وهناك بعض الدرر

قال احد الحاضرين : ان بعظها بحجم بيضة الحمام، وقد دخل جواهري مع الهيئة التي انيط بها فتح هذه الخزانة قال:
ان بين المجوهرات جواهر لاتثمن لنفاستها
وقال اخر: ان قطعة واحدة من القطع الثمينة في هذه الخزانة يكفي ثمنها ان يفتح شارع بين النجف وكربلاء يبلط ويقير ويشجر باشجار على جانبيه وتسقى هذه الاشجار بفتح ساقيتين من الماء على طول هذا الطريق
ونفاسة هذا الكنز كائنة من الوجهة التاريخية علاوة ل ثمن الجواهر فيه
فهناك (با زبند) يقال انه لنادر شاه ملك العجم فيه ماسة بقدر البندقة كان الشاه يربطه على يده كما كانت عادة بعض الملوك في ذلك الزمن
ويتفكر البعض ان في النية بناء متحف بجانب المرقد توضع هذه المجوهرات فيه وتكون عرضة للمشاهدة للزائرين وذلك قصد الانتفاع منها بهذه الطريقة

٢٦- السائح الهروي

السائح الهروي الخطيب علي بن أبي بكر بن علي الزاهد الشيخ تقي الدين الهروي الأصل الموصلي النشأ السائح الذي طوف البلاد والأقاليم وكان يكتب على الحيطان فقلما تجد موضعا مشهورا في بلد إلا خطه عليه ولد بالموصل واستوطن آخر عمره بحلب وله بها رباط وله تواليف حسنة منها كتاب الزيارات بالزاي وله كتاب عجائب الأرض ذات الطول والعرض وله كتاب خطب صنفه وقدمه للإمام الناصر فوقع له بالحسبة في سائر البلاد وإحياء ما شاء من الموات والخطابة بحلب وكان التوقيع بيده إذا دخل ببلد عمل بها الحسبة إلى أن يخرج منها وكان يعرف السيمياء وبها تقدم عند الظاهر صاحب حلب وقال ابن واصل كان عارفا بأنواع الحيل والشعبذة وبنى له مدرسة بظاهر حلب ودفن في قبة المدرسة وكتب على كل باب منها ما يليق به وكتب على باب بيت الماء ببيت المال في بيت الماء توفى في رمضان من سنة ٦١١ إحدى عشرة وستمائة . له الإشارات إلى معرفة الزيارات . التذكرة الهروية في الحيل الحربية . الخطب الهروية . الرحلة في مجلد ذكر فيه جميع بلاد الاسلام ومن بلاد الإفرنج . زيارات الشام . كتاب الأصول . منازل الأرض ذات الطول والعرض

قال ابن خلكان رأيت في قبته معلقا عند رأسه غصنا وهو حلقة حلقة ليس فيها صنعة وهو أعجوبة قيل إنه رآه في بعض سياحاته فاستصحبه وأوسى أن يكون عند رأسه ليعجب منه من يراه وكان يضرب به المثل في وجود خطه في كل موضع مشهور حتى قال فيه ابن شمس الخلافة وقد ذكر شخصا يستجدي بالأوراق

أوراق كديته في بيت كل فتى ... على اتفاق معان واختلاف روي
قد طبق الأرض من سهل ومن جبل ... كأنه خط ذاك السائح الهروي(٣٤)

---

(٣٤)الوافي بالوفيات : ج ٢٠ ص ١٦٣ ،هدية العارفين : ج ١ ص ٧٠٤

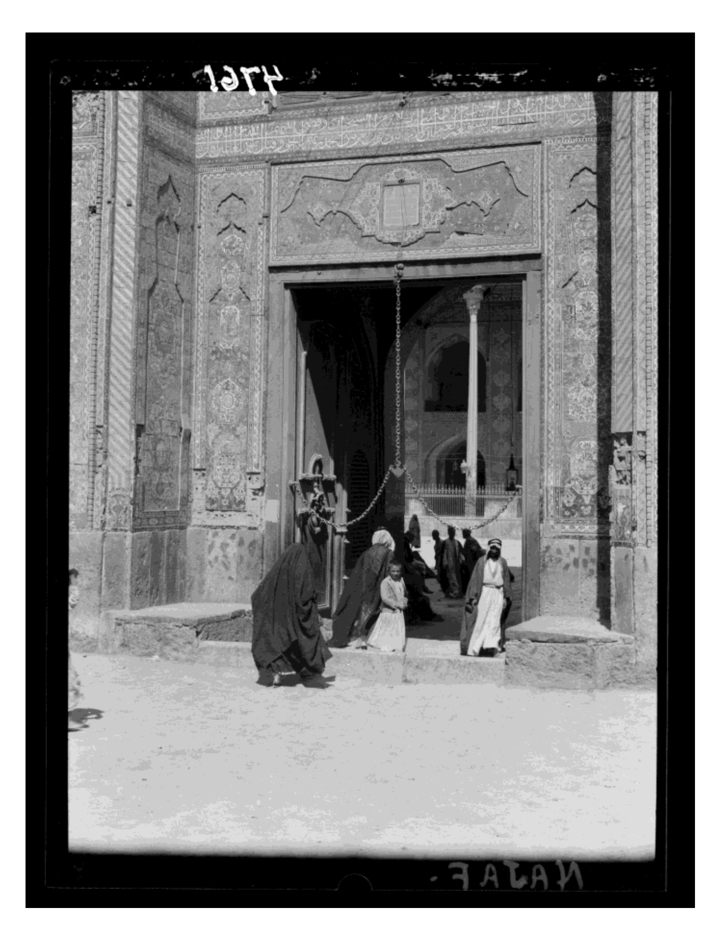
قال في رحلة الاشارات الى معرفة الزيارات:

مدينة الكوفة فيها مشهد ابراهيم بن المستمر وبها زيد بن علي رضي الله عنهما ، باطنة النجف مشهد امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه وعنده جماعة من العلويين والاشراف ، ولد بمكة عمره ثلاث وستون سنة

وذكر ابن قتيبة ان امير المؤمنين علي بن ابي طالب دفن في قصر الامارة بالكوفة خوفا من اعدائه ،وبناحية بلخ قرية يقال لها الخير ظهر بها قبر يزعمون انه قبر علي بن ابي طالب وليس بصحيح

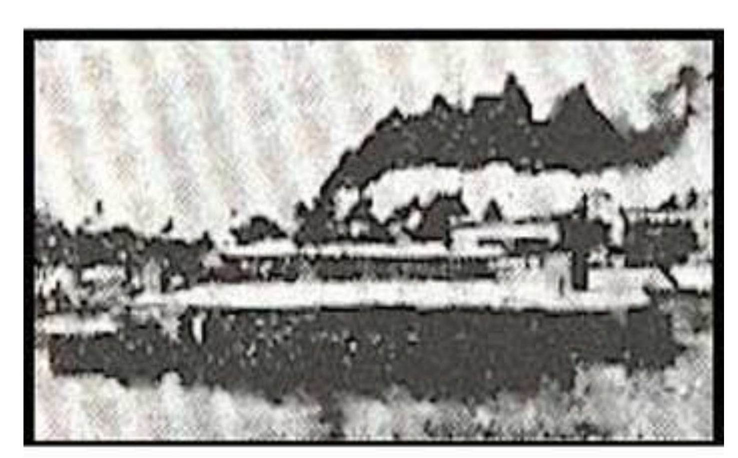
٢٧ - قاد الفيلق البريطاني السادس

قاد الفيلق البريطاني السادس إبان الحرب العالمية الاولى في معارك دارت في ألمانيا وفرنسا .عين قائدآ عامآ للقوات البريطانية في العراق في كانون الاول سنة ١٩١٩ .وصل البصرة في ٢٠ آذار ١٩٢٠ ، ومنها أتجه إلى بغداد وولي قيادة الحركات العسكرية إبان ثورة العشرين .



حضر (مؤتمر القاهرة) الذي دعا إليه سر ونستن جرجل ،وزير المستعمرات البريطاني ، يومذاك ، لتقرير مصير بعض أقطار الشرق الاوسط ، ومنها العراق ، وحضره جعفر العسكري من رؤساء وزارات (العهد الملكي السابق) في العراق ، وكل من سر برسي كوكس ومس جرتود بل وساسون حسقيل (أحد وزراء

المالية في العهد الملكي السابق) وكان ذلك في آذار سنة ١٩٢١ .ألف أغلب فصول كتابه في بغداد بين حزيران وأيلول سنة ١٩٢١ وذلك أثر حملات شديدة في بريطانيا وخارجها شنت على السياستين العسكرية والإدارية في العراق نتيجة إندلاع الثورة . فأراد من وراء وضعه تبرير سياسته العسكرية وسرد الاسباب المباشرة للثورة .



الباخرة الحربية البريطانية (فاير فلاي) لحظة احراقها
فغرقها قبالة مقام النبي يونس على الضفة الأخرى

قال في مذكراته: ذكر إسم مدينة الكوفة فيما مضى غير مرة . إذ كانت فيها حامية صغيرة محاصرة فعلاً ، وعلى الغم من أنها ليست من العتبات المقدسة في بلاد الرافدين فالمدينة مؤسسة منذ سنة ٦٣٨ الميلادية أي بعد ثلاث سنوات من أستيلاء (المحمديين) على العراق ،

إلا إن أهمية البلدة الرئيسية منبثقة عن أن علياً ، مؤسس الطائفة الشيعية (كذا) ، وأبن عم النبي محمد قتل فيها سنة ٦٦١ الميلادية . وعلى الموضع الذي قتل فيه يقوم اليوم جامع كبير ، وهو على بعد ميل ونصف الميل من المدينة الحالية وعلى طريق النجف الواقعة على بعد سبعة أميال إلى الجنوب الشرقي .

إن القصة التي تروى بشأن دفن (علي) في صحراء النجف ، أو بالاحرى في المكان الذي تقوم فيه مدينة النجف حالياً ، تستأهل الذكر في مثل هذا المقام .

روي أن علياً خاطب من حوله ، وهو يوشك على الانتقال الى جوار ربه مردداً ، أنه يرغب على عادة العرب أن يدفن في أديم الصحراء . كما أمر أن يوضع جثته ، إثر موته ، على ظهر بعير ، وأن تترك البعير طليقاً يرعى حيثما شاء ، فإن برك بعد ذلك للراحة في موضع ما فليكن ذلك موضع قبره . إن موقع النجف الحالي في الصحراء لا يعدوا أن يكون نشزاً من حجارة رمل ضاربة الى الحمرة ، وموقعها هو المقصود في القصة السابقة . إنها كسائر المرويات الشفوية عبر العصور تفتقد الدقة ، ولكن أهميتها الخاصة باقية ، ثم تمضي القصة بعد ذلك فتقول إن علياً هبطت عليه رؤيا إلهية وهو يلفظ الرمق الاخير، ومفادها أن المكان الذي يبرك فيه البعير الحامل جثته هو المكان الذي دفن فيها آدم وزوجه بعينه .

ولا يعرف الا القليل من الاوربيين الجانب الاخير من قصة مقتل (علي) وكل شيعي مؤمن يعتقد أن هؤلاء الثلاثة مدفونون بالنجف ، وأنه عندما يزور هذه المدينة المقدسة يكون بجوار أجدائهم الطاهرة .

ولو صح ما نسب إلى (علي) من قول قيل أنه فاه به ساعة وفاته لتأيد أنه حقاً من أعاظم الرجال الذين عرفتهم في الدنيا حصافة رأي وبعد نظر . . ولعل الشطر الاخير من القصة يرجع الى وضع أحد رجال الدين في النجف الاشرف ، وهم يتوقون أشد التوق إلى جلب زوار إلى مزاراتهم ويتبارون في ذلك مع نظرائهم في كربلاء .

٢٨- جاك كاليبو ونيكول كاليبوا

قال في كتابه مذاهب وملل : راقبت من سقف فندق صغير ، تحول الى معسكر ، الساحة المربعة الواسعة التي تنصب في وسطها قبة مغطاة بقشرة ناعمة من الذهب ، فهي محصنة باربع ماذن مخروطية الشكل مغطاة بالذهب ومعروفة بخرجاتها التي هي على شكل قفيز النحل

هنا في مدينة النجف المكرمة ، قبلة الشيعة ، تمكنا من تصوير المشاهد الدينية الاولى لفيلمنا ، وهذا بفضل مساهمة مرافقنا . فأقتراح هذ الاخير بإظهار أننا حجاج من أذربيجان ، سمح لنا ليس فقط بدخول المعبد ، بل أيضاً وبصورة خاصة بتفسير جهلنا للغة النبي . وفي حال وجه أحدهم الكلام لنا ، فإن مرافقنا يسارع للاجابة عن هذين الاذربيجانيين السخيفين المفترض أن نكونهما . ويكيفينا لكي نظهر كمسلمين صالحين أن نعرف الشهادة ، أي أن نجهر بالعقيدة الاسلامية : لا إله إلا الله ومحمد رسول الله . هذا هو الحد الادنى الذي يجب أن يعرفه كل مؤمن من لغة محمد (صلى الله عليه واله) .

لم تكن المغامرة مرضية لمرافقنا السني الذي يعتبر المحرمات الدينية رجعية .ثم أن إدخال رجل غير مؤمن بين الشيعة لعبة جيدة تلعب على هؤلاء المسلمين السيئين .

دخلنا إذا الى المزار الرائع بدا لنا أن بعد الظهر هو أفضل وقت لذلك ، لاننا أعتقدنا أن الحراس سيقللون من مراقبتهم في وقت القيلولة ، وأن عدد الحجاج سيكون أقل .

الكاميرا مخفية بعناية تحت الجلابية يمكنها أن تصور دون تدقيق بفضل المكبر ذي الزاوية الواسعة .

على المدخل حارس بلباس خاص يراقب مرورنا . آه لو كان يعرف من نحن ؟ خلعنا أحذيتنا تحت ناظريه كمؤمنين صالحين . داخل المزار يتجول حراس آخرون يحمل كل منهم شارة مهمته رجال الدين معممون يرتدون العباءة السوداء . يعجز الوصف بإتقان من قبل صاغة فرس ورخام نادر وأهداب حلزونية ، وثر يات من الكريستال ينعكس ضوءها على ألوف المرايا المتقابلة التي تزيد عقد القبة ، أنه مبهج للعين . الشواهد الحية في عصرنا هي صفوف لمبات النيون التي تلف الامكان . وفي مشكاك ضغير مغطى كليا بالسيراميك الاخضر ، يجلس رجل تقي على حصيرة من قش ، يرتدي دشداشة واسعة ويزين لفة رأسه بشريط أخضر يستقبل المؤمنون القادمين لاستشارته .

وفي مكان جانبي من الظلمة تجلس نساء ترضع أطفالها وسط ضجة مجموعات من الاطفال . فنظراً لفقرهم الذي يحول دون تمكنهم من الذهاب إلى الفندق ، حطوا رحالهم ليقضوا الليل هنا قبل أن يرحلوا في الغد إلى خيامهم في الصحراء ، وأكواخهم القصبية على ضفاف الفرات ، أو إلى بيوتهم الترابية على الهضبة الايرانية .

الضريح مفتوح للزوار ليلا نهاراً . ومصابيح النيون تضيء المداخل في المساء . وأفواج المؤمنين لا تنضب .

وجهت الكاميرا نحو الناس المتنوعة والمتجولة التي تتجمع حول الناووس . عثمانييون باللباس الابيض الانيق بلحاهم المتقنة ، وأفغانيون بشرائط عريضة تتدلى فوق أعينهم المغولية ، وفلاحون بسطاء يسيرون جنباً الى جنب مع تجار أغنياء ، ونساء في كل مكان ، أشباح سوداء ومتناسقة تجر وراءها مجموعات الاطفال بسراويل النوم ، تصدر وشوشة من بين الشفاه المتحركة ، تمتزج بخفبف البساتين ووقع الاقدام البساط . يجب العمل بسرعة : فالكاميرا تهتز على خاصرتي ، لم يبق ما يكفي لحركة دورية للجسم .

لاحظت فجأ أنني الحاج الوحيد الذي يتأبط لفه من الثياب وكأنها طرد ثمين ، وأنني أهتم بالناس الذين يحيطون بي أكثر من أهتمامي بالرفاة الطاهر لمؤسس الشيعة . بأختصار شعرت بنفسي أني قد لفت الانتباه ، وبدا لي فجأة أن الجامع الكبير بات مقفرآ ، ولم أعد أرى سوى حارس يتوجه الي بخطى كبيرة ، أعترضه المرافق وأوما الي بمغادرة المكان فيما هو يجر الحارس بكم قميصه ، فأنسجت تاركآ الرجلين يتفاهمان ، كاد أمرنا ينكشف لان هذا الحارس عاش في أذربيجان ، كيف يمكن أن يكون صديقك من هناك ؛ صاح بالمرافق ، فأتركني إذا أرحب به وأسأل أخي من أي قرية جاء ، (٣٥)



(٣٥) مذاهب وملل واساطير في الشرق الادنى والاوسط : ص٣٨ ، جاك كاليو ونيكول كاليبوا، الفارابي ط الثاني ٢٠٠٧بيروت لبنان تعريب فارس غصوب

٢٩- ديوايت

(١٣٤٧هـ/١٩٢٨م)

باحث بريطاني قضى ستة عشر عاما في مشهد الامام الرضا عليه السلام ينقب عن عقائد الشيعة وتقاليدهم الاجتماعية، زار العتبات المقدسة في العراق عام(١٣٤٧هـ/١٩٢٨م) توفي سنة (١٣٧٨هـ/١٩٥٨م) له كتاب المعتقد الشيعي ، تاريخ الاسلام في فارس والعراق، دراسات في المعتقدات الاسلامية

مشهد علي بالنجف

روي عن الامام جعفر الصادق أن علياً طلب أن يدفن سراً خوفاً من أن ينبش الخوارج قبره () ولما كان قليل من الناس ممن يعرف السر فقد ظن بعظهم أن علياً دفن في بيته في المدينة .

ويؤيد هذا الرأي ما جاء في سياحة توماس فورستر في القرن السادس عشر () فقد قال عند وصفه المدينة أن فيما وراء مسجد الرسول صلى الله عليه وآله قبرين آخرين عليهما ستائر خضر دفنت في أحدهما فاطمة بنت محمد ودفن في الآخر علي زوج فاطمة المذكورة .

ومنهم من قال أن علياً دفن في مسجد الكوفة

ومنهم من قال بل في رحبة القصر بها وقال غيرهم أنه دفن في الكرخ من محلات بغداد القديمة . ورغم أختلاف الاقوال فأن علماء الشيعة عامة متفقون على أن عليا بن أبي طالب رابع الخلفاء وأول الائمة مدفون في النجف وهي تبعد عن الكوفة أكثر من أربعة أميال بيسير ، وهذا هو أعتقاد سواد الناس .

وذكر أبن جبرين أن في مسجد الكوفة محراب محلق عليه بأعواد الساج مرتفع عن صحن البلاط كأنه مسجد صغير وهو محراب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وفي ذلك الموضع ضربه الشقي اللعين عبد الرحمن بن ملجم بالسيف فالناس يصلون فيه باكين داعين

أما الشيعة أجماعا يعتبرون أن النجف هو الذي دفن فيه علي فتدل عليه آلاف القبور التي نراها خارج المدينة ،

ويتذكر كل زائران الى شمال المدينة وشرقها ساحات شاسعة مغطاة بالقبور وآلاف القباب المختلفة الألوان في مختلف أدوار عدم الترميم ولا بد لمن ذهب الى النجف أن يسير على الطريق الملتوي المؤدي اليها خلال هذه المقبرة الشاسعة . وأذا كان معه دليل واسع الطلاع من الشيعة فقد يقول له أن أبراهيم على ما يظن جاء هذه القرية ومعه أبنه أسحق ، وأن زلازل عظيمة وقعت في هذا الجوار ، فأنقطعت بوجود أبراهيم فيها . وذهب أبراهيم ليلة وأسحق الى قرية من القرى بعيدة فوقع زلزال عظيم في النجف ،فلما عاد توسل اليه الناس أن يبقى معهم فرضى على أن يبيعوه الوادي الكائن خارج القرية ليزرع فيه ، ويروى أن أسحق قال أن هذه الارض لاتصلح للزراعة ولا للرعي ، ولكن أبراهيم أصر وأكد في زمانا سوف يأتي فيكون هنا قبر عليه مشهد عظيم ((يفوز به سبعون ألفا بدخول الجنة بغير حساب ويشفعون لغيرهم))

أن الوادي الذي أراد أبراهيم أن يشتريه هو وادي السلام ، ويروى عن الامام الرابع أن علياً قال أن وادي السلام جزء من الجنة وما من مؤمن (أي شيعي) يموت في شرق الأرض وغربها حشر الله روحه الى وادي السلام وكأني بهم قعود يتحدثون وذكر أيضاً وادي برهوت وأليه ((تصير أرواح الذين كفروا بمحمد وأوصيائه من الناس كافة)) ويشار في هذا الى عين برهوت في حضرموت وهي عين طولها ٣٣ قدماً وعرضها ٢٥٨ قدما مملوءة بالكبريت المحرق

وتفسر الأحاديث أصل النجف فيذكر ((أن النجف كان جبلاً وهو الذي قال أبن نوح سآوى الى جبل يعصمني من الماء فأوحى الله أليه ياجبل أيعتصم بك مني ؟ فتقطع قطع قطع وصار رملاً دقيقاً وصار بعد ذلك بحراً عظيماً وكان يسمى ذلك الحر بحر (ني) ثم جف بعد ذلك فقيل ني جف فسمي نجف)).

أما ما ذكر عن النجف في كتب جغرافي العرب فأن أقدم ما كتبه هو أبن حوقل ، وقد صنف كتابه في القرن العاشر الميلادي فذكر أن حاكم الموصل بين سنتي ٢٩٢-٣١٧ هـ ((بنى قبة فوق أربعة أعمدة على قبر مشهد علي ، وزين هذا المشهد بالستائر الثمينة والمعلقات وأحاط كذلك المدينة المجاورة بسور)). أما فيما يختص بأكتشاف هذا المشهد فيقول المستوفي في كتابه الذي ألفه في القرن الرابع عشر

((ويقع على فرسخين من الكوفة نحو الجنوب الشرقي مشهد علي أمير المؤمنين ويعرف بالمشهد الغروي ، فأن علياً لما جرح الجرحة التي مات فيها في مسجد الكوفة أوصى أن يحمل جسده عند موته على جمل ويطلق عنانه ، فيحيثما برك دفن جسده . ففعلوا ذلك وصادف أن برك الجمل في المكان الذي فيه المشهد اليوم فدفن هناك . ولم ينكشف المرقد المبارك مدة حكم الأمويين وكذلك في حكم العباسيين حتى زمن هارون الرشيد. وصادف أن خرج هارون الرشيد سنة ١٧٥هـ (٧٩١م) الى الصيد في هذه النواحي فتتبع صيداً فهرب الصيد وأحتمى في هذا المكان ، فركض حصانه نحو هذا المكان فلم يفعل وأثر ذلك في قلب الخليفة وسألالناس هناك فأخبروه بأن ذلك هو قبر علي وأمر هارون أن تحفر الأرض فوجد جسد علي راقداً وهو مجروح فبنى عليه قبة وسكن الناس حوله)). وربما كان في ذكر أن جسد علي وجد راقداً وهو مجروح ، بعد مضي١٣٠ سنة على مقتله ما يدل على أن المستوفى نفسه كان شيعياً معتقداً ، ثم يذكر أنه بعد مرور نحو ١٩٠ سنة على قصة هارون الرشيد ((أن عضد الدولة البوهي أقام في (٣٦٦هـ -

٩٧٧م) بناء عظيماً على القبر كما يشاهد اليوم وأصبح المكان منذ ذلك التاريخ مدينة صغيرة محطها ٢٥٠٠ خطوة)).

ويخبرنا أبن الأثير أن عضد الدولة البوهي وأثنين من أبنائه دفنا هناك . ويقال أن هذا المشهد الذي لم يمر على بناءه أكثر من سبعين سنة أحترقه بتمامه سنة (٤٤٣هـ - ١٠٥١م) أثناء أظطهادات الشيعة ، ويظهر أن بناءه أعيد حالاً أو على الأقل قبل أن يزوره الوزير نظام الملك بصحبة ملك بشاه سنة (٤٧٩هـ-١٠٨٦م) () ويضيف المستوفي على ذلك قائلاً أن السلطان ملك شاه السلجوفي زار النجف فرأى أن المنارة ((كانت معوجة نصفها مستقيم والآخر مائل فسأل عن السبب فأجيب أن علياً مر مرة بها فأنحت فأنحت المنارة أحتراماً له فأشار اليها الخليفة علي أن تبقى على حالها)).

ويرد ذكر النجف في النصف الثاني من القرن الثاني عشر في رحلة أبن جبير فيقول عند وصفه الكوفة أن على مقدار فرسخ منها المشهد الشهير الشأن المنسوب لعلي بن أبي طالب (رض) وحيث بركت ناقته وهو محمول عليها مجسى ميتاً على ما يذكر

وفي القرن الثالث دجخل هولاكو خان بغداد وخرب بلاد واسعة حولها ألا أنه من الواضح أن الشيعة أنفسهم هم الذين دعوا المغول وشجعوهم على المجيء بسبب ما وقع عليهم من التعديات الكثيرة فأن الجند من السنة بقيادة أبن الخليفة قد أباحوا دور الشيعة في محلة الكرخ وأخرجوا نساءهم عن الحرم وحملوهن على ظهور الخيل مكشوفات الرؤوس عاريات الأقدام أما الناس . فأرسل الوزير وهو من أبناء تلك الطائفة التي أبيحت حرمتها كتاباً الى السيد تاج الدين محمود أبن نصر الحسيني رئيس الحلة وهي مركز شهير لنفوذ الشيعة يخبره فيه ((أنه قد نهب الكرخ المعظم .. وقد نهبوا العترة العلوية وأستأسروا العصابة الهاشمية ... فلهم أسوة بالحسين عليه السلام أذ نهب حريمه وأريق دمه .. وكان جوابهم بعد

خطابي أن بد من الشنيعة وقتل جميع الشيعة وأحراق النهاية وتمزيق الذريعة وأن لم تكن لكلامنا مطيعى لجرعناك الحمام تجريعا ، ولتتركن في بغداد أخل من الحناء عند الأصلع ومن الخاتم عند الأقطع)).

وكان هولاكو أذ ذاك قد فتح حصن الأسمعيلية في الموت فكتب له الوزير مؤيد الدين بن العقلي المعرب يشرح له ضعف بغداد ويستدعيه للمجيء فقدم المغول ونرى أن في ((أثناء حصار بغداد أرسل بعض رؤساء الحلة حيث النفوذ للسادة أبناء علي ، وفداً الى هولاكو بخضوعهم يذكرون أنهم يروون حديثاً بسند أجدادهم الى علي والأئمة الأثنى عشر في أنه (أي هولاكو) ستخضع له تلك البلاد (أي العراق العربي) ويوضح هذا السبب في أن المغول لم يتعرضوا للشيعة بسوء ، وللسبب ذاته أرسل هولاكو مئة مغولي ((لحماية قبر علي في النجف)).

وبعد ذلك بسنوات قليلة عندما كان الايلخانيون من المغول يعملون كل ما بوسعهم لاعلاء شأن مدينتهم الجديدة السلطانية التي على نحو مئة ميل من قزوين ((فكر أو الجايتو بنقل رفاة علي من النجف والحسين من كربلاء اليها وشيد بناء فخم ليكون مدفنا لهما)) ولكنه لم يعش ليحقق نيته وأصبح البناء الذي شيده قبرا له

وكما أن المستوفى في وصفه النجف أثناء القرن الرابع عشر لم يذكر شيئاً عن أعادة تعمير البناء كذلك أبن بطوطة الذي ألف رحلة بنفس العصر فأنه لم يذكر الترميمات التي جرت على المشهد بعد فتح المغول قال :

ثم رحلنا فنزلنا مدينة مشهد علي بن أبي طالب (رض) بالنجف وهي مدينة حسنة .... من أحسن مدن العراق وأكثرها ناساً (وفيها) القبر الذي يزعمون أنه قبر علي (عليه السلام) ... وأهل هذه المدينة كلهم رافضية . وهم تجار يسافرون

الى الأقطار وهم أهل شجاعة وكرم .. وحيطان هذه الروضة منقوشة بالقاشاني .... والقبة مفروشة بأنواع البسط من الحرير وسواه وبها قناديل الذهب والفضة . . . وفي المدينة خزانة كبيرة تجمع بها النذور من الناس في بلاد العراق وغيرها من يصيبه المرض فينذر للروضة نذراً أذا برئ . وهذه الروضة ظهرت لها كرامات ثبت بها عندهم أن بها قبر علي (رض) فمنها أن في ليلة السابع والعشرين من رجب .. يؤتى الى تلك الروضة بكل مقعدي العراقين وخراسان وبلاد فارس والروم فيجتمع منهم الثلاثون والأربعون ونحو ذلك فأذا كان بعد العشاء الآخرة جعلوا فوق الضريح المقدس والناس ينتظرون قيامهم وهم ما بين مصل وذاكر وتال ومشاهد للروضة فأذا مضي من الليل نصفه أو ثلثاه أو نحو ذلك قام الجميع أصحاء من غير سوء .... وهذا أمر مستفيض عندهم سمعته من الثقاة ولم أحضر تلك الليلة لكني رأيت .... ثلاثة من الرجال ... وهم مقعدون فأستخبرتهم عن شأنهم فأخبروني أنهم لم يدكوا ليلة المحيا وأنهم منتظرون أوانها من عام آخر)).

فلما قضى المغول على الخلافة العباسية وأزالوا أثرها أصبحت بغداد مدينة ثانوية صغيرة وأهملت منظومة الري البديعة التي كان تروي المناطق المحيطة بها . غير أنه قامت حركة حركة ظاهرة لأحياء الثقافة خلال الخمسين أو الستين سنة التالية ما عاش أولئك الذين سلموا قبل أن يصاب الأسلام بهذه النكبة الكبرى ((ونجو من القتل)) فكانت خلال الدور الجلائري أو الأيلخاني حركة نشاط علمي ظاهرة

ولم تمنع زيارة مشهد الأئمة المدفونين في جوار بغداد . ونلاحظ بالحقيقة أن بعض الأمراء المتأخرين من المغول كانوا يتسمون بالحسن والحسين ما يدل على تسامحهم وأنحراف ميولهم نحو المشاهد الشيعية .

ولا يظهر أيضاً أن مشهد النجف قد أصابه ضرر ما أثناء الغارات التيمورية ففي سنة ١٣٩٣م صمم على العراق العربي الى ملكه ونزل في بعض عند قبر الولي المدفون في أبراهيم لك فزاره ووزع الصدقات عنده وبلغ في الثلاثين من شهر آب

ففتح له أهلها أبواب مدينتهم ، وهرب السلطان أحمد خال الجلائري نحو الحلة فقامت عساكر تيمور بالتفتيش عن السلطان الهارب في كل مكان حتى ألتقوا به في سهل كربلاء . وكان الحر شديد والقتال حاسم إلا أن السلطان تمكن من الهروب . وخاف رؤساء العساكر التيمورية من الهلاك عطشاً فعادوا أدراجهم حتى بلغوا الفرات في مكان يسمى ((مكد)) (ربما كان مشهد) حيث قتل الحسين بن علي ، فقبل كل منهم أبواب المشهد المقدس وزاروا مع الزائرين ما يدل على أن الغزاة التيموريين لم يحملوا عداءآ معيناً للشيعة ، ولم يفكروا بالتعرض الى أماكنهم المقدسة ، حتى أنه عندما عاد التيموريين إلى بغداد بعد ثمان سنوات وأخذوها عنوة ووضعوا السيف في أهلها دون رحمة لا نسمع أنهم تعرضوا بسوء الى المشاهد في ظاهرها .

وبعد وفاة الشاه رخ الابن الثالث لتيمور بعد حكمه الطويل ١٤٠٤-١٤٤٧ أخذت تلك الامبراطورية التي أنشأت بالسيف والخراب تتفسخ شيئآ فشيئآ ، وأعقبتها أمارتان تركمانيتان وهما القره قويونلي والآق قويونلي بالتتالي حتى كانت اليد العليا أخيرآ للازبك الذين جاءوا من ما وراء النهر خلال هذه الفترة من الهروب والنهب والفوضى ، غير أن الساحات لهذه الحركات السياسية لم تكن في بغداد ، فلا نسمع بأشارة إلى تخريب المشاهد الكائنة في جوارها ولما قبضت الاسرة الصفوية على زمام الامور وهي أسرة تقوم على دعاية شيعية أعتدائية مدالشاه أسماعيل سلطان خلال خراسان حتى هراة فضلاً عن ضمه المقاطعات الجنوبيىة الى أملاكه ، حتى إذا جاء عام ١٥٠٩م كانت رقعة مملكته تمتد من نهر جيحون إلى خلاج البصرة ومن بلاد الافغان الى الفرات وكان ذلك الور مبدأ أهتمام عظيم بالمشاهد القريبة من بغداد وأعتبر صدر الصدور أو المجتهد الشيعي الاكبر السلطة القضائية العليا في البلاد وهو الذي يتصرف بجميع الاوقاف ، ولم يدم طويلاً أذ أصبحت العراق بعد خمس وعشرين سنة جزءآ من الامبراطورية العثمانية وذهبت حصة كبيرة من الاموال المخصصة للمشاهد ألى العثمانيين بدلآ من

الايرانيين ، وبطبيعة الحال سر الشيعة كثيراً عندما أستعاد الشاه عباس أرض المشاهد المقدسة سنة ١٦٠٣ ولكن السلطان مراد تمكن من أسترجاعها سنة ١٦٣٨ وبقيت تحت الحكم العثماني مدة ٣٠٠ سنة تقريباً .

وحاول قادر شاه في القرن الثامن عشر أضعاف نفوذ مجتهدي الشيعة فألغى مركز صدر الصدور ورغم ذلك فإن أمام الجمعة في أصفهان كان لايزال يعتبره الناس عامة الممثل للامام المختفي من آل علي وهو رأس الطائفة الشيعية

وقد أخبرت في النجف أن نادر شاه لم يكن في أول الامر مؤمنا حقيقياً وقد أراد أن يرفع المذهب الشيعي فيوحد الاسلام غير أنه أقتنع بعئذ بأحقية أدعاءات الائمة ، بالمعجزات التي حدثت في ذلك المشهد .

فقد كان مكن المشهور مثلا أن الخمر أذا دخل ضمن أسوار النجف أنقلب خلا وأن الكلب لايدخلها ، فأراد نادر شاه أن يأخذ بطلاً من النبيذ وكلباً معه عندما زار النجف ، إلا أنه عند باب النجف قاوم الكلب كل محاولة لادخاله المدينة حتى أضطروا الى قتله وأنقلب النبيذ خلا ، وكانت هذه المعجزات وغيرها سبباً إلى أعتقاد نادر شاه بالائمة .

ويذكر أنه في سنة ١٧٩٤ ألقا آغا محمد خان أول الشاهات القاجاريين القبض على وزير منافسه لطف علي خان ، وكان شديد الغضب لافلاته منه فأمر بقطع يدي هذا المسكين البرئ وقلع عينيه (وفي تنلك الليلة رأى فيما يراه النائم أن رسولالله صلى الله عليه وآله يعاتبه عتاباً شديداً ، فأكرم هذا الوزير بغالا وخيماً وأدواة أخرى يذهب بها الى النجف ويقضي باقي عمره عند القبر المقدس لعلي))

ونرى من هذه الحادثة أن المشهد وأن كان تحت الحكم العثماني فإن الزوار وغيرهم كانوا يذهبون اليه كالعادة ، وبقي المشهد حتى بعد هجوم الوهابيين سنة ١٨٤٣ ونهبهم الكنوز المكدسة هناك محلاً للزيارة وربما يعزي بعض ذلك إلى

أعتباره إمتياز مقداراً للشيعة في أيران وبعضه بلا شك إلى أن زواره هم المنبع الرئيسي لدخله .

وفي زمن القاراجيين كانت مشاهد العراق تحت السلطة السياسية العثمانية وكان مجتهدوا الشيعة الذين توطنوا النجف أقل تعرضاً للتدخل من الجهتين العسكرية أو السياسية مما ىلو كانوا في أيران ، فلم يكونوا قانعين دوماً بالنفوذ الذي لهم في أيران بواسطة مدارسهم الدينية أو أختلاطهم بالزوار . فأخذت تلك الطبقة من رجال الدين الذين قمعهم نادر شاه ، بأستعادة سلطانها وقد جعلت من النجف مركزآ لها ، وقامت هذه الطبقة في مواقف مهمة من الضغط بشدة مما أثر في القرارات للقضايا السياسية في أيران ، فمن النجف أصدرت الفتوى سنة ١٨٩١م للمؤمنين كافة بالامتناع عن التدخين لمحاربة أمتياز حصر التنباك . فحدث نتيجة ذلك إضطراب خطير في طهران أجبر الحكومة الايرانية على سحب الامتياز وكذلك في الزمن الذي أتخذ به الدستور الايراني فقد أعترف ضمنا فيه بأن السلطة العليا تعود الى الامام الغائب . ولما كان مجتهدوا الشيعة ممثلوه المعترف بهم وجب أن يدخل عدد موعين منهم ضمن أعضاء المجلس خلال مدة الحكم القاجاري .

وعندما أخذ الناس يتكلمون علنا في أسقاط القاجاريين عندما صار الحاكم الحالي لايران مركز الدكتاتور العسكري المطلق فيها. فكر هو وأنصاره بأعلان الجمهورية في إيران وأحتجت السلطات في النجف على ذلك بأن النظام الجمهوري مخالف للدين الاسلامي ولعادات المسلمين ، غير أن ذلك لا يمنع تغيير الاسرة باخرى . وعلى ذلك أعلن وزير الحربية بعد أستحضارات دامت بضعة أشهر نفسه شاها على إيران ووضع التاج على رأسه وأسس الاسرة البهلوية الجديدة .

ومشهد النجف في الوقت الحاضر مدينة صغيرة تقع وراء ساحة القبور الشاسعة ، عدد سكانها تقريباً نحو ٢٠٠٠٠ نسمة يحيط بها سور مربع الشكل وتشمخ من وزراء هذا السور القباب المذهبة فوق قبر علي وقد زين مدخل الضريح بالفضة المصقولة

والمرايا والنقوش الكاشانية . وفوق القبر نفسه . صندوق من الفضة ((مشبك بالفضة وله باب ذات قفل فضي كبير)) وفي الصحن منارتان جميلتنان مكسوتان من الذهب

وقد جاءت الاحاديث عن الائمة عن فضل زيارة قبر علي فمنها ما روى عن الامام جعفر الصادق أنه قال ((من زار أمير المؤمنين عارفا بحقه غير متجبر ولا متكبر كتب الله له أجر مائة ألف شهيد وغفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر)). وأتى رجل الامام الصادق وأخبره أنه لم يزر أمير المؤمنين فقال له ((بئس ما صنعت لولا أنك من شيعتنا ما نظرت اليك ، الا تزور من يزوره الله مع الملائكة ويزوره الانبياء ويزوره المؤمنيون)) قال ((جعلت فداك ما عملت ذلك ((قال ((فأعلم أن أمير المؤمنين أفضل عند الله من الائمة كلهم وله ثواب أعمالهم وعلى قدر أعمالهم فضلوا)).

وعلى الزائر قبل أن يزور ، كما قال الامام جعفر الصادق ، أن يغتسل ويلبس ثوبين طاهرين وينال شيئآ من الطيب ، ودعا الزيارة التي ذكره الكليني () لايختلف كثيرآ عما ذكره بابوية () وأوله كما يلي :

السلام عليك يا ولي الله السلام عليك يا حجة الله السلام عليك يا خلايفة الله السلام عليك يا عمود الدين السلام عليك يا وارث النبيين السلام علاك يا قسيم الجنة والنار السلام عليك يا صاحب العصا والميسم السلام عليك يا أمير المؤمنين أشهد أنك حجة الله على خلقه وشاهده على عباده وأمينه على علمه ومستودع أسراره ومعدن حكمته وأخ رسوله . ((أشهد أنك أول مظلوم وأول من غصب حقه فأصبر وأنتظر ولعن الله من ظلمك ، وغصب حقك وعاداك لعنة عظيمة يلعنه بها كل ملك كريم ونبي مرسل ومؤمن صادق . ورحمة الله عليك يا أمير المؤمنين – وعلى روحك وجسدك))

أن إيراد الدعاء كامله أمر ممل وقد ذكر المجلسي في كتابه عن الزيارات ثمانية أدعية طويلة تقرأ في زيارة النجف

وينسب كل دعاء الى أحد الائمة وقد توارثتها الاجيال وقرأها مرة بعد مرة مئات الالوف من الزائرين الصادقين إلى مشهد علي بالنجف . (٣٦)

---

(٣٦) عقيدة الشيعة لدونالدسون ديوايت

٣٠- سلطان تابنده شاه

سلطان حسين تابنده الملقب ب (رضا علي شاه) بن محمد حسن الملقب ب (صالح علي شاه) وهو من اقطاب المتصوفة في ايران وقد ترجمه من الفارسية الأستاذ ابو محمد المعدل بعنوان (مذكرات رحلة إلى البلدان العربية) .

النجف الأشرف :

في تمام الساعة الثانية والنصف من بعد الظهر انطلقنا بصحبة السيد مشير السلطنة ملك صالحي بسيارة صغيرة قاصدين النجف الأشرف . وفي خان الحماد – وهي منطقة صغيرة عامرة تقع في وسط الطريق بين النجف وكربلاء – توقفنا مدة نصف ساعة بعدها تابعنا مسيرنا فدخلنا النجف في الرابعة والنصف عصرا .

والنجف الأشرف هي مدفن مولى الموالي الإمام علي عليه السلام ويدعى أحيانا بمشهد الغري . والغري هو الملطخ أو الملوث . وإنما سميت بهذا لأنه يوجد في تلك الأرض القاحلة قبتان مبنيتان على قبرين لمالك وعقيل كانا نديمين لخزيمة الأبرش فقتلا ولطخ قبراهما بالدماء بأمر منه وقد تسمى الغريين أيضا .

والنجف في اللغة المكان المرتفع الذي لا يركد فيه الماء ، ومدينة النجف هي الآن على أرض مرتفعة لا ينالها السيل وينحدر منها كما قال علي عليه السلام نفسه في خطبة الشقشقية ((ينحدر مني السيل ولا يرقى إلي الطير)) ومعناها عند أهل العرفان أن سيل المعرفة ينحدر مني إلى غيري وان طير الوهم والخيال لا سبيل له إلى مقامي السامي . لكن الظاهر أنه إخبار عن المغيبات فمدفته في مرتفع لا يناله سيل ولا يقر عليه طير !

يتميز مناخ النجف بأنه حار كثيرا بارد كثيرا في الشتاء حتى بالقياس إلى مدينة الكوفة المجاورة ، وذلك أنها تقع في قمة التل وفي أعلى نقطة منه . درجة عرض النجف ٣٢ درجة و ٣ دقائق و ١٩ ثانية شمالا ودرجة طولها ٤٤ درجة و ١٦ دقيقة

و ٣٦ ثانية شرقا . وتنحرف قبلتها من الجنوب نحو الغرب بإحدى وعشرين درجة و ٤٤ دقيقة و ٤٥ ثانية طبقا لكتاب معرفة القبلة لمؤلفه المهندس عبد الرزاق خان البغايري وبإحدى وعشرين درجة و ٢٩ دقيقة و ٤٧ ثانية وفقا لكتاب ((قبلة شناس)) أي معرفة القبلة المترجم عن كتاب تحفة الآجلة لمؤلفه الضابط الكابلي .

اكتشف قبر أمير المؤمنين عليه السلام في العام ١٥٥ للهجرة وذلك في عهد هارون الرشيد وقد بنى له الرشيد قبة هناك.

وفي العام ٣٠٦ الهجري بنيت في تلك المنطقة بعض الابنية بناها عضد الدولة الدليمي ثم اتسع عمران النجف تدريجيا (حتى بلغت ما هي عليه اليوم) ومنذ ذلك الحين والنجف مركز للعلم والعلماء عند الشيعة ولم تزل لحد الان سائرة على هذا المنوال .

ولحرم الامام علي عليه السلام المطهر حالة روحية عظيمة وتاثير نفسي عجيب ينجذب اليه كل ذي قلب وقد حصل كثير من الرجال العظماء على مقامات ودرجات رفيعة ببركة مجاورتهم لذلك المشهد المقدس .

وعند الغروب تشرفنا بزيارة الحرم المطهر .

وارتفاع الحرارة من حين قدومنا إلى النجف إلى حين رحيلنا عنها وقد ظل طريح الفراش طيلة تلك المدة . وكنا نصلي صلاتنا في الحرم المطهر .

وفي نهار الاربعاء ذهبنا إلى وادي السلام – وهي مقبرة كبيرة في أطراف النجف – لزيارة أهل القبور .

الوادي لغة : المنخفض الذي يهبط إليه الماء ، وأطلق على الصحراء فيما بعد ويستعمل اليوم في بعض الأماكن بمعنى المقبرة .

مقبرة وادي السلام كبيرة جدا يحمل اليها الشيعة جنائزهم من مختلف البقاع وقد ورد في الخبر : أيما مؤمن دفن بكربلاء لم يشهد عذاب القبر . فلذا تجد الجنائز تحمل يوميا من خارج النجف اليها فتدفن هناك .

وقد وردت أخبار تبين عظم ما لهذه البقعة من الفضل منها ما مضمونه ((ما من مؤمن يموت في مكان من العالم الا حمل الله روحه إلى وادي السلام ، وان وادي السلام بقعة من بقاع الجنة)) .

وهنا امر مهم لفت انظارنا اليه هو انه قد ورد في الاخبار انه ينبغي رفع القبر عن الارض اربع اصابع لا فوق ذلك فما زاد فهو مكروه وكذا التسنيم بان يجعل لها سنام شبيه بسنام الجمل ولا تسطح وان لا يبيض وجهها ولا تبنى بالجص والنورة فان كل ذلك مكروه . لكن جميع القبور في وادي السلام كانت اما متصفة بهذه الصفات الثلاث جميعا او بواحدة منها على الاقل .

وكان الحري بالعلماء والطلبة ان يامروا الناس بمراعاة ذلك .

وفي مقبرة وادي السلام زرنا قبر هود وصالح الذي اشتهر عنها انهما مدفونان هناك ثم تشرفنا بزيارة موضع يعرف بمقام حضرة صاحب الامر عجل الله تعالى فرجه وقد اشتهر ان السيد بحر العلوم هو الذي اخبر بان الامام القائم صلى هناك فصلينا فيه ركعتين . بعدها زرنا مقام سيد الساجدين الامام زين العابدين عليه السلام .ويبدو ان هذين المقامين اكتشفا من قبل السيد بحر العلوم فقد كان من اهل السير والسلوك والكشف والشهود ، فشاهد فيهما روح ذينك العظيمين فحظيا باهتمامه . ثم قرانا الفاتحة لاهل القبور وعدنا إلى المدينة وصلينا في الحرم المطهر(٣٧).

---

(٣٧) موسوعة النجف الاشرف :ج٤ ص ٩٩

٣١- السنوسي

ذكر السنوسي في الرحلة الحجازية:

في ليلة بتنا في بئر عثمان وحضر عندنا قائم مقام نجف اشرف(٣٨) علي باود كنانة بن عبد القادر زادة الكركوكي نسبة الى كركوك من عمل الموصل وهو رجل حازم عارف باللسان العربي والفارسي والتركي وقد دار بيننا خبر الشيعة(٣٩) فذكر لنا من احوالهم اخبارا ووصف لنا مقام سيدنا علي بن ابي طالب في نجف حتى ذكر ان قبته ومنارته كلها من الذهب الابريز وذكر لنا ان وارادات الهند وشاهات العجم من هدايا المصوغ والاحجار النفيسة لو بيعت لوفت بديون الدولة العلية واوصلت بين النجف والاستانة بسكة الحديد ، ومن عنوان ذلك ان الواحد من اغنياء الهند وايران وربما كان وزيرا يطلب ان يكون دفنه في النجف ويتصدق على ذلك المقام بجميع ما ملكت يداه في حياته لا يترك منه شيئا لورثته فاذا مات حمل في صندوق على ظهر الابل من الهند او ايران مسيرة شهر ويدفن هناك ويحجز نائب الوقفعن جميع المخلف من منقول وغير منقول

---

(٣٨) كذا ذكر في الرحلة

(٣٩)يذكر ان السنوسي قال في الرحلة الحجازية :٢٢٠/٢ : اتفق لي في اول دخولي لجامع ايا صوفيا في الاستانه قبل صلاة العصر ان صليت تحية المسجد بمحل الصف الاول واسدلت يدي عند القيام للصلاة فرايت تشويشا وقع بين القوم لم انتبه لشانه ، وبعد فراغي من الصلاة قام الي رجل كبير مسن باناة وحياني بالمصافحة ثم سالني عن بلادي فاعلمته اني مغربي تونسي ، ثم سالني عن سدل اليدين في الصلاة فاعلمته ان ذلك مشهور مذهب مالك فقال للمنتظرين له من حولنا(مذهب مالكي سني) وكان يتكلم بقليل من العربية فقال : ان سدل اليدين عندنا معروف للشيعة ولذلك تشوش الجماعة وعند ذلك تذكرت ما ثبت ان مالكا قبض في الصلاة ، وتذكرت ما ذكر في فقهاؤنا من ان القبض في الصلاة لا باس به عند الضرورة او خوف التشويش ومن ذلك الوقت رجعت الى القبض في الصلاة مدة اقامتي بالاستانة



فقلت له : وهلا فعلوا ذلك في اختيار الدفن في المدينة المنورة واغلبهم لا ينكر رسالة محمد وانما هم يجعلون عليا احق بالخلافة فقط ولكن هذا دليل التعصب البحت،

فاعترف بذلك ، ثم سالته عن تقدير مبالغ ما يوجد في مستودع المقام فاخبرني انه بعد الالف من الهجرة جمعت جميع النفائس في دهليز تحت المقام ووقع سدنته ومن ذلك العهد جعلوا خزنة اخرى لها دفتر تحت نظر الناظر هنالك ، ولما اقبل محمد شاه ايران للزيارة منذ السنين الاخيرة طلب الاطلاع على هدايا اهل مملكتهم ليرى هل اجالت الدولة يدها فيها ام لا فاستاذن مدحت باشا والي بغداد في ذلك العهد ورد له اذن بذلك وبعد ان نظر محمد شاه ما هناك اراد ان يتقرب باخذ قنديل مرصع يعلقه بنفسه دخل الحرم فاختار قنديلا امتنع الناظر من اخراجه وقال انه ان علق يحتاج الى عسكر تقيم على حراسته ، واحضر الدفتر فاذا قيمته ثمانون الف ليرة عثمانية ، ثم اختاروا له اقل قنديل مرصع

هنالك فكان قيمته ثمانية عشر الف ليرة فعلقه هنالك بيده وكفى بهذا عنوانا على سعة ما هنالك(٤٠)

---

(٤٠) الرحلة الحجازية ، محمد السنوسي :٢ / ٢٢٧

٣٢- احمد عارف الزين
صاحب مجلة العرفان اللبنانية

قال في رحلته الى النجف:

قطعنا الطريق من كربلاء وهو قفر يباب بمدة ساعتين وقبل وصولنا تراءت لنا من قلب الصحراء تلك المآذن الذهبية والقبة الذهبية وما لبثنا ان وصلنا الى دار السلام وهي مقبرة النجف واقعة خارج وهي مقبرة كبيرة جدا

(الى ان قال)

وذهبنا لزيارة الحضرة الشريفة من افخم الحضرات المقدسة بناء ومن احسنها زخرفا وبهاء واوسعها غنى وثراء ، وفيها الجواهر الثمينة والمعلقات النادرة والاسلحة القديمة ، والسجاجيد الفاخرة، ولو بيع منها بعض ما يستغنى عنه منها لانشىء بثمنه جامعة كبيرة ومستشفى عظيم ودار عجزة ، لكن الامور مرهونة باوقاتها، دخلنا الحضرة حوالي الظهر وبعد الزيارة والتشرف بضريح ابي الائمة وامام الامة توجهنا الى دار مضيفنا...

وعند الغروب يممنا الحضرة الشريفة وصلينا المغرب مؤتمين بالامام الكبير السيد ابي الحسن الاصفهاني

٣٣- الاستاذ محمد هاشم عطية

اديب مصري كبير زار النجف من بغداد برفقة السيد صالح شمسة قال في رحلته:
لقد كان يرافقنا في كل انتقالاتنا السيد هاشم زوين حاكم النجف وهو رجل كريم الخلق ضاحك الثغر ، صحبنا في الصباح الى روضة الامام ابي الحسن علي بن ابي طالب ، وبعد ان طفنا بهذه الحضرة العلوية وقضينا نسكنا منها ، عدنا الى خزائن النفائس والمجوهرات الخاصة بهذه السدة الشريفة، فراينا ما يبهر الابصار ، يحير العقول من الستائر المنسوجة بالؤلؤ والجوهر وغيرها من نفائس الاحجار، وهن اربع ستائر لا اظن ان احدا ولا هيئة من الناس تستطيع تقويمها بالمال الان ، ثم راينا غيرها من الستائر المنسوجة بالماس على شكل الكمثراة والقنديل الضخم المصنوع من صفائح الذهب المحلاة بالوان من الاحجار الكريمة وبعد ان قضينا من ذلك وطرا عدنا فطفنا حول هذه الاضرحة المتزينة بالقباب الموشاة بالذهب (٤١)

مجلة البيان النجفية / السنة الثانية ع ٣٣ – ٣٤ /كانون الاول ١٩٤٧م/١٥ محرم ١٣٦٧هـ

٣٤- الدكتور ابراهيم سلامة

القى محاضرة في دار المعلمين العليا ببغداد بتاريخ :١٩٤٢/١/٢١م حول مشاهداته في النجف جاء فيها:

لقد سررت بالنجف ولكن هناك منظر آلمني كثيرا وهو رؤية الاشياء الثمينة في ضريح الامام علي عليه السلام مختزنة، فهي عرضة للضيعة ان بقيت على هذه الحال بينما يمكن الاستفادة من هذه الخزائن بان نعمل لها الواحا (فوتوغرافيا) تباع في مواسم مختلفة فتربح النجف بذلك ربحا عظيما بل ويربح العراق ايضا واذكر اننا كنا ندفع مقدارا لاباس به من النقود لرؤية (قبعة نابليون) او أي اثر من اثار حين كنا في فرنسا

فكم يربح اهل النجف لو عرضوا (سيف الامام علي) او غيره من الاشياء الاثرية(٤٢)

(٤٢) مجلة الغري النجفية س٣ ع ٨٦ ١٣٦١هـ/١٩٤٢م

٣٥- روكس بن زائد العزيزي

روكس بن زائد العزيزي.ولد في مدينة مأدبا (جنوبي عمان – الأردن)، وتوفي في عمان بعد قرن وعام من الزمان.قضى حياته في الأردن وفلسطين والسعودية ومصر.تلقى تعليمه الابتدائي في مدرسة اللاتين في مدينة مأدبا، وتوقف عن إكمال دراسته عام ١٩١٤ بسبب وقوع الحرب العالمية الأولى، بعدها أكمل تعليمه على مدرسين في اللغة الفرنسية والإنجليزية.عمل مدرسا للغة العربية في مدرسة اللاتين في مأدبا عام ١٩١٨، حتى عام ١٩٤٢، بعد ذلك عمل أستاذًا للأدب العربي بكلية تراسانته في القدس حتى عام ١٩٤٨، ثم عاد إلى الضفة الشرقية وعمل بالتدريس في مدارسها حتى عام ١٩٧٢، بعد ذلك تفرغ للعمل الثقافي، وكان أول مراسل صحفي بالأردن لجريدة الأحوال البيروتية.

من مؤسسي رابطة الكتاب الأردنيين عام ١٩٧٤، كما انتخب رئيسًا لها عام ١٩٧٦، كذلك كان عضوا في اتحاد الكتاب والأدباء الأردنيين، وعضو جمعية حقوق الإنسان منذ عام ١٩٥٦، كما كان عضو النادي الثقافي في جدة، ورابطة الأدب الحديث بالقاهرة، كذلك كان عضو شرف في مجمع اللغة العربية بالأردن.



قال عن الحضرة العلوية: الروضة المقدسة التي تضم قبر الامام علي مربعة الشكل ، مفروشة بالرخام الثمين وقد جللت الجدران جميعها بالمرايا الملونة ذات الزخارف المذهلة والفسيفساء الرائعة، ولها ست ابواب منها باب ذهب مطعم بالميناء والحجارة الكريمة في غاية الروعة والاتقان قام بصياغته امهر الصياغ الايرانيين في ايران وقد كتب على اعلى الباب ما نصه:

قال الرسول صلى الله عليه واله: علي مع الحق والحق مع علي ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض

اما المآذن فمغشاة بالذهب الابريز والمصلون والزوار تبدوا عليهم علامات الخشوع والحزن(٤٣)



---

(٤٣) مجلة العدل النجفية السن الثالثة ع ٦ و٧ حزيران سنة ١٩٦٨ م

٣٦-سر واليس بج

ولد(سر واليس بج) في مدينة (كورنول) في انكلترا سنة ١٨٥٧م ونشأ فيها وواصل دراسته فيها قبل دخول الجامعة اذ دخل جامعة كمبردج وحصل منها على شهادة الدكتوراه وحصل كذلك على شهادتي دكتوراه من جامعتي (اكسفورد) وجامعة (درم) وكان تخصصه في الدراسات الاشورية والعبرية، عين امينا على قسم الاثار الاشورية والمصرية في المتحف البريطاني ، توفي سنة ١٩٣٥ م ،

قام بثلا رحلات اطلق عليها(بسبيل النيل ودجلة) كان قدومه الى النجف الاشرف في رحلته الثالثة التي استمرت من عام ١٨٩٠ م حتى عام ١٨٩١م دخل العراق من جهة الشام عبر دير الزورمن خلال تواجده في الكوفة اشار الى الدليل الذي كان معه عن امكانية السفر الى النجف ام لا؟ اذ قال له الدليل : في الامكان ان نتخذ السبيل الى النجف التي جرت العادة على تسميتها بمشهد علي الذي يخر فيه الانسان شهيدا

وكان شديد الشوق الى رؤية قبة مرقد الامام علي عليه السلام وكان يقول:كنت اعلم علم اليقين ان من المتعذر على نصراني الولوج الى صحن المسجد ولكن ليس هناك من سبب يحول دون ان ارى القبة الشيعية من الخارج فلما شاهدها قال عنها:

القبة التي تعلوا مرقد الامام علي رائعة جدا(٤٤)

(٤٤) مجلة افاق نجفية العدد ٢٧ /١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

٣٧- أوليفيه

قصد الرحالة الفرنسي أوليفيه Olivier (١٧٩٤ - ١٧٩٦م) الكوفة وسائر العتبات المقدسة وفيما يلي حديثه عن الكوفة والعتبات المقدسة المجاورة لها قال :

وعلى بعد تسعة فراسخ جنوب الحلة ، كانت تقون سابقا مدينة عربية تسمى الكوفة لم يبق منها سوى بعض اطلال ، لقد كانت واقعة على قناة مستمدة من الفرات في ارض خصبة مزدهرة وهذه القناة هي اليوم بدون ماء ويسميها البدو كري سعدة .

انها البلاكوبا pallacopa التي يقول اريان flavius arrien (٤٥) بأنها تتصل بهور كبير حتى الفرات وذلك على الضفة اليمنى من هذا النهر جنوب بابل .

لقد جعل الحكام الثلاثة الأوائل كما هو معلوم مقر اقامتهم كما جعلها الامام علي (عليه السلام) في أواخر سني حياته وكذلك الإمام الحسن (عليه السلام) خلفه ، أما الأمويون الذين اتوا بعد فقد استقروا في الشام أو مدينة أخرى من مدن سوريا وبويع أول الحكام العباسيين في الكوفة وترك المنصور وهو الحاكم الثاني هذه المدينة ، وأرسى أسس بغداد ولا ندري في أي حقبة خربت الكوفة ، ومن المحتمل أن ذلك لم يحدث الا بعد استيلاء التتار على بغداد اذ ياتي ذكر الكوفة في عهد العباسيين مرارا .

ويشاهد على بعد فرسخين الى الغربي والجنوب الغربي من اطلالة الكوفة مشهد علي او مشهد الامام علي وهي مدينة كبيرة جدا قد تكونت حول المسجد الذي يفترض بأن هذا الخليفة مدفون فيه وقد شيد اكراما له بعد زمن طويل من وفاته .

مشهد علي يسكنه عرب وغيرهم لذا كان نصف السكان سنيين يتبعون تعاليم العلماء الأربعة من المسلمين الأولين ، والنصف الآخر شيعيا اي من شيعة علي

---

(٤٥) flavius arrien مؤرخ يوناني من القرن الثاني ، له تاريخ الأسكندر الكبير .

(عليه السلام) ومن ضمن الأولين بعض الأتراك كانوا متمسكين بسادة الدولة(٤٦).

يأتي سنويا للحج إلى مشهد علي من العجم بعدد يقدر بخمسة آلاف او ستة آلاف يمرون جميعهم تقريبا ويتقاضى باشا هذه المدينة عن كل حاج اربعة قروش كضريبة ، وهي واسطة يضمن لها الحماية التي يحتاجونها .

مشهد الحسين (كربلاء) :

ليس مشهد علي المدينة الوحيدة التي يقصدوها الزوار اذ انهم يقصدون ايضا مشهد الحسين او الامام الحسين (عليه السلام) حي ثيوجد قبر الحسين بن علي الذي قتل مع عدد كبير من اقربائه واصحابه في واقعة كربلاء ، ومعلوم ان الحسين بعد وفاة معاوية قصد الكوفة مع ١٥٠ شخصا وسائر آل بيته حيث كان ينتظره انصاره غير ان يزيد ابن معاوية قد ارسل ضده ٦٠٠٠٠ شخصا قابلوه ، فاستشهد الحسين وسلاحه بيده ، لأنه حارب حتى الرمق لأخير ضد هذا العدد الغفير من المناوئين واقيم له ضريح قريب من ميدان المعركة وعلى هذا الضريح شيد فيما بعد مسجد وتكونت حوله مدينة .

ان مشهد الحسين اقل شأنا من مشهد علي ، ويقع على بعد ستة او سبعة فراسخ إلى الشمال الغربي من الحلة ، في موقع ممتاز جدا تستمد مياهها من الفرات بواسطة قناة الأمر الذي يسهل للسكان ان يزرعوا الكثير من النخيل حول مدينتهم (٤٧).

---

(٤٦) وهذا وهم كبير وقع فيه أوليفيه ذلك أن النجف مدينة شيعية خالصة ، أما الطبقة الحاكمة فهم من السنة الأتراك كما هو شأن سائر المدن العراقية في العهد العثماني وعددهم قلة قليلة ، ولا أدري كيف عدهم أوليفيه نصف السكان .

(٤٧) رحلة أوليفيه إلى العراق ترجمة د. يوسف حبي ، بغداد ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م ص١٥٠-١٥١ .

٣٨- المطراقي

قاد السلطان العثماني سليمان القانوني حملة لفتح العراق سنة (٩٤١هـ - ١٥٣٤م) وقد انطلقت حملته من القسطنطينية مرورا بكوتاهية فقونية ، فوان ، في الأراضي العثمانية ، ثم تبريز فهمذان ، فقصر شيرين ، فبغداد ، وصولا إلى الحلة فالنجف ، فالكوفة فكربلاء ، من الأراضي التي كانت تحت سيطرة الدولة الصفوية وقد صحبه في هذه الحملة المؤرخ التركي نصوح السلاحي الشهير بمطراقي زاده المتوفي بعد سنة ٩٦٨هـ ودون بعض ما جرى في هذه الحملة في كتاب حمل اسم (بيان سفر العراقيين) وكان قد فرغ من تدوين كتابه سنة ٩٤٥هـ والكتاب المخطوط بمكتبة يلدز تحت رقم ٣٥ ، وقد نقل بعد ذلك إلى مكتبة جامعة استانبول وسجل تحت رقم ٥٩٦٤ ونشر مصورا عن الأصل في انقرة سنة ١٩٧٦م تحت عنوان :

nasuhus-silahi matrakci
beyan-1menazili sefer.i irakyn.i suleymanhan dr.huseyin g .yurdaydin

بعناية الدكتور حسين يوردااين .

وقد نشرت ترجمته العربية في أبو ظبي ضمن مطبوعات المجمع الثقافي سنة ٢٠٠٣ بتعريب صبحي ناظم توفيق وتحقيق د. عماد بعد السلام رؤوف .

زار السلطان سليم كما يذكر المؤلف المطراقي المشاهد المقدسة في العراق ومنها الكاظمية المقدسة ومشهد العسكريين في سامراء ومقام الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف في الحلة ، ثم رحل الى كربلاء في صحراء كربلاء وزار مرقد الإمام الحسين عليه السلام والعباس عليه السلام وعلي الأكبر والقاسم والحر والمحسن (السقط) في صحراء كربلاء ثم زار النجف الأشرف وتشرف بزيارة مرقد الامام علي عليه السلام الذي قال انه واقع في بحر النجف وزار ادم ونوح ضمن المرقد نفسه قال : وعلى ضريح امير المؤمنين عليه السلام ثلاث عمائم ترمز لآدم ونوح وعلي عليهم السلام ، المعروفة كمقام نوح ومقام ابراهيم ومقام محمد صلى الله

عليه وآله ومرقد نبي الله يونس عليه السلام ومسجد السهلة والحنانة ومشهد الكفل وخان النص وغيرها ، ولا توجد في الرحلة تفاصيل أخرى عن احوال تلك المشاهد او عمارتها غير كلمات التبجيل والمبالغات الكلامية والاسجاع .

وخلال زيارة السلطان للعراق فقد زار منطقة الفرات الاوسط من المنازل التي مر بها في طريقه المواقع التالية : قلعة جك ، خان بير نص (خان النص) ، قرية المسيب ، قلعة المسيب ، كربلاء ، صحراء النجف ، والمشهد العلوي ، مدينة الكوفة ، صحراء الكوفة ، مدينة الكفل ، قلعة انهارة ، مدينة انهارة ، مدينة الحلة ، خان بريص ، قلعة البراني ... الخ .



المشهد العلوي الشريف كما رسمه الرحالة التركي المطراقي (القرن العاشر الهجري)

وفي ما يلي ما تضمنته الرحلة من الزيارة من المواقع المذكورة ومن بينها الكوفة ومزاراتها

وفي مدينة الحلة المحروسة دار السلطان مقام المنتظر وغاية المختبر خليفة الرحمن محمد المهدي صاحب الزمان ، وكذلك مرضي الاوصاف والشمائل حضرة الشيخ أو الفضائل ، وصاحب الميسرة والميمنة حضرة السلطان حجيمة .
وفي ارض (الكرب والبلاء) حيث مرقد صاحب القبة الخضراء في الجنة ، وخاتم الخلفاء الراشدين عند اهل السنة ، والصابر على البلاء والمحنة الشهيد في ارض كربلاء ، الامام المقتدى وابن المرتضى ابو عبد الله الحسين ، وكذلك مرقد سيد المجتهدين وسند المتعبدين علي بن الحسين زين العابدين .
واللسان الناطق والأصل السابق مقام الامام (جعفر بن محمد الصادق) وجميل الذات وكريم الصفات سيد الشهداء وسعد اللباس والمحمود عند الله والناس ، ابن الامام علي حضرة العباس والمعتصم بعناية الله ، الملك العاصم وسلطان الشهداء وحضرة (قاسم ابن الامام المرتجى وسبط المصطفى وابن المرتضى صاحب الجود والكرم والمنن (ابن محمد الحسن) .
والنورين الازهرين الانورين درتي الصدفة النبوية ونجمتي بحر الفتوة ، السيدين الشهيدين والمقتولين المظلومين (علي الاكبر وعلي الاصغر) ولدي (ابي عبد الله الحسين) وبر جبل المحسن المدفون في صحراء (كربلاء) اكرم ارباب السعد وافخر اصحاب الشهد حضرة (حر الشهيد) .
وكذلك المرقد الواقع في بحر النجف لجوهرة منجم لا فتى ومن بشأنه هلى اتى قبلة العارفين وكعبة الطائفين وسلسلة المشايخ المتقدمين والمتأخرين ، ومقتدى زهرة الأولياء والآخرين ، وصاحب الكشف والاطعام وزائر بيت الله الحرام ، العارف بأسرار الملكوت والواقف في اعلى مراتب القدس والجبروت ، ونصل شجرة الولاية وفرع ثمرة النهاية ، وفخر آله طه ويس ابن عم سيد المرسلين الشهيد السعيد واسد الله الغالب (علي ابن ابي طالب) واصل السلالة الانسانية والبناية البشرية ، مسجود الملائكة المقربين ومصدر السنة الأولين والاخرين المشرف بتشريف :

اسكن انت وزوجك الجنة ، فاتح ابواب التوبة والظاهر بعناية الرحمن الباعث نحو لعنة الشيطان وسبب وجود نسل الآدم مقام حضرة نبي الله (آدم) .
وشيخ الانبياء وقدرة الاصفياء المبالغ في الدعوة الى الدين والمجاهد في اعلام اليقين ، المداوم على اظهار الشريعة والمقدم في اعلان الطريقة ملامح بحر التوحيد ، الربان في بحر تقرير النجاة وباني سفينة
الحياة دافع امطار البلاء وقاطع طوفان الابتلاء ، صاحب الكشف والفتوح مقام نبي الله نوح الكائن في الكوفة وهو ابو الرسل العظام وجد الانبياء ، الكرام ونور صديقة النار وشجرة السرد في بستان الابرار ، الذي قيل في حقه : يا نار كوني بردا وسلاما ، ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا مسلما ، وكذلك زار السلطان الحرم الرحماني والمحرم الشبحاني باني بناء الصفا وشرف نسل المصطفى واضع اسس قبلة الاسلام وعامر بنيان بيت الله الحرام ، المكرم بتكريم الكرامات والمشرف بتشريف الآيات البينات ، خليل الرحمن وجليل البرهان ومظهر العز والتكريم مقام حضرة نبي الله ابراهيم ومجمع غرائب الكرامات وصاحب الشريعة القاهرة ومنشئ الطريقة الباهرة ، المظهر بأدل الكتب الأربعة ومظهر الآيات التسع المشهورة ، مقتدى الانبياء العظام ومتبوع زمرة الاولياء الكرام ، غالب الفرعون ، الطاهر والناظر وهالك اقباط البيداء ودمام عساكر الاسرائيليين ، المهدي الهادي بنور الطور المخصوص ، كليم الرحمن مقام حضرة موسى بن عمران ، ونفحة النفس الرحماني ومظهر الالطاف السبحاني ، المتربع في الاعالي والمستوطن في جلال السماوات واضع معالم الشريعة ومرشد مسالك الطريقة ، المبشر باحمد والمصدق بموسى ، روح الله الاكرم مقام حضرة عيسى بن مريم ، ومن ثم زار السلطان مقام خاتم الانبياء والمرسلين سيد الاولين رسول الكونين وقدوة الثقلين ، واسطة العقل والكمال وطبعة خاتم الجلال مروة مروءة الصفا مقام حضرة محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وكذلك شمس السعادة وقمر فلك السيادة ومشتري عالم النبوة وقطب دهر الفتوة المالك الغني ، مقام حضرة (يونس النبي)

الواقع في انحاء الكوفة ، وكذلك فخر ارباب الهداية وذخر اصحاب الرياضة حضرة عبد الله بن اوفى ، ومن صحابة حضرة محمد المصطفى صلى الله عليه وآله ، وزينب بنت ولي حضرة الشيخ عطاء الله[٤٨] .
ورافع غطاء الضلالة وكاشف اسرار الجلالة مرقد الشيخ شمس الدين ابي وضوح في المنصلف .
ومخزن الأبرار الأحمدي ومنبع الأنوار المحمدي حضرة ذي الكفل النبي صلوات الله عليه وعليهم اجمعين .
فقام السلطان باداء الزيارة اليها جميعا واطلع في طريقه اليها على المهالك والممالك العديدة في عراق العرب من طلب الممالك صبر على المهالك لذا فقد تجسم عناء السفر الى كربلاء والحلة والمنصلف وكوفة وحنانة وسهلة وبحر النجف .

(٤٨) صورة.

٣٩- ابن المستوفي

تعود رحلة ابن المستوفي الى عام ١٣٤٠م وهي الرحلة المسمات ب نزهة القلوب وقد اشار المستوفي في رحلته الى ماضي الكوفة وتاريخها منذ الفتح الاسلامي للعراق قال:

((تقع الكوفة على خط العرض ٣١ درجة وخط الطول ٣٢ ،٧٩ درجة ، وهي في منطقة اكثر حرارة من بغداد ، فالرياح الشمالية هي السائدة على الاغلب ، وتصل المياه الى الكوفة عن طريق قناة تتفرع من الفرات الذي يمر قريبا منها ، ومن المدهش حقا ، كثافة بساتين النخيل ووسعها حيث تتوزع في مساحات كبيرة ، غير انه الملفت للنظر هو ووجود القصب وبكثافة في هذه المنطقة فيستخدم لاغراض شتى ومنها استعمالة كاقلام للكتابة)) (٤٩)

يقول المستوفي في كتابه الذي ألفه في القرن الرابع عشر ((ويقع على فرسخين من الكوفة نحو الجنوب الشرقي مشهد علي أمير المؤمنين ويعرف بالمشهد الغروي ، فأن علياً لما جرح الجرحة التي مات فيها في مسجد الكوفة أوصى أن يحمل جسده عند موته على جمل ويطلق عنانه ، فيحيثما برك دفن جسده . ففعلوا ذلك وصادف أن برك الجمل في المكان الذي فيه المشهد اليوم فدفن هناك . ولم ينكشف المرقد المبارك مدة حكم الأمويين وكذلك في حكم العباسيين حتى زمن هارون الرشيد. وصادف أن خرج هارون الرشيد سنة ١٧٥هـ (٧٩١م) الى الصيد في هذه النواحي فتتبع صيداً فهرب الصيد وأحتمى في هذا المكان ، فركض حصانه نحو هذا المكان فلم يفعل وأثر ذلك في قلب الخليفة وسألالناس هناك فأخبروه بأن ذلك هو قبر علي وأمر هارون أن تحفر الأرض فوجد جسد علي راقداً وهو مجروح فبنى عليه قبة وسكن الناس حوله)). وربما كان في ذكر أن جسد علي

---

(٤٩) نزهة القلوب : ص٣٥

وجد راقداً وهو مجروح ، بعد مضي١٣٠ سنة على مقتله ما يدل على أن المستوفى نفسه كان شيعياً معتقداً ، ثم يذكر أنه بعد مرور نحو ١٩٠ سنة على قصة هـارون الرشيد ((أن عضد الدولة البوهي أقام في (٣٦٦هـ - ٩٧٧م) بناء عظيماً على القبر كما يشاهد اليوم وأصبح المكان منذ ذلك التاريخ مدينة صغيرة محطها ٢٥٠٠ خطوة)).

٤٠- فرج العمران
(١٣٢١ ــ ١٣٩٨) هـ

هو الشيخ فرج بن حسن بن احمد بن حسين بن محمد علي ال عمران العنزي الاسدي القطيفي . عالم أديب وشاعر .ولد في القطيف ٢ شوال سنة ١٣٢١ هـ ونشأ فيها .قرأ أولياته الأدبية والعلمية فيها على يد فضلائها . هاجر الى النجف الاشرف شهر شعبان سنة ١٣٥٦ هـ وحضر به الأبحاث العالية فقهاً واصولاً على يدكبار العلماء.له عدة مؤلفات مطبوعة لعلها تبلغ خمسة وعشرون مؤلفا ابرزها كتابه الشهير (الازهار الارجية في الاثار الفرجية ج١ ـ ١٥)توفي في القطيف ١٨ ربيع الاول سنة ١٣٩٨ هـ ودفن بها بمقبرة الحباكة (٥٠) .

زار النجف كثيرا وله كتاب الرحلة النجفية دون فيها مجيئه الى النجف وما راه وما قام به وشاهد كرامة لمرقد الامام علي عليه السلام نشرتها مجلة افاق نجفية فلاحاجة لتكرارها

(٥٠) شعراء القطيف ج٢ / ٢٥ ، مصطفى المقال / ٣٥٤ ، معجم المؤلفين ج٢ / ٤٨٦ ، ذكرى العوامي / ١٠١ المنتخب من اعلام الفكر والادب / ٣٦٢ .

٤١- كي لسترنج

قام المستشرق الانجليزي (كي لسترنج □□»□□□□ □□ □□□) (١٨٥٤-١٩٣٣) بعمل بلداني عظيم جدا استوعب فيه التصانيف البلدانية العربية والاسلامية من معجمات ورحلات ومسالك وما الى ذلك وبحث في الاقاليم الاسلامية من معجمات ورحلات ومسالك وما الى ذلك وبحث في الاقاليم الاسلامية ومدنها وقراها وانهارها ، وانتجز عمله في كتاب (بلدان الخلافة الشرقية) الذي يتناول بشكل خاص صفة العراق والجزيرة وايران واقاليم اسيا الوسطى منذ ايام الفتح الاسلامي حتى ايام تيمور .

في النص الذي اقتطفناه من الكتاب المذكور يتطرق كي لسترنج للنجف ويصف النجف والمرقد الطاهر يقول:

والنجف وفيها مشهد علي الذي يكرمه الشيعة ويقدسونه ، على نحو أربعة أميال من غرب خرائب الكوفة وهي مدينة عامرة الى يومنا هذا والمتواتر لدى الشيعة على ما ذكر المستوفي ان الامام عليا لما ضرب في جامع الكوفة وحضرته الوفاة اوصى بان يوضع جثمانه على جمل ثم يطلق على رسله وحيثما يبرك تدفن جثته هناك ، فعمل بهذه الوصية .

ولكن في ايام بني أمية لم يشيد له قبر اذ كان الموضع قد اخفي ، على انه في سنة ٧٩١/١٧٥م اهتدى الى موضعه الشريف هارون العباسي فانه خرج راكبا ذات يوم الى ظاهر الكوفة يتصيد وطارد صيده الى كثيب فلما لحق به توقف فرسه عنده.

فطلب من له علم بذلك فأخبره بعض شيوخ اهل الكوفة انه قبر علي ابن ابي طالب تلجأ اليه حتى وحوش البر فلا ينالها أذى ، ثم ان الرشيد امر بحفر الموضع واظهر قبر علي ، وعلى ما ذكر المستوفي بني عليه قبة ، واخذ الناس في زيارته ، وبدء تاريخ هذا المقام مبهم ، وما اوردناه انما هو ما تفق عليه الشيعة على ان هارون الرشيد وانه قرب اليه العلويين حقبة من عهده ، فان تواريخ العرب لم تذكر انه هو الذي وقع على قبر علي .

واقدم من اطال القول في مشهد علي ، ابن حوقل ، في منتصف المائة الرابعة (العاشرة) فقد اخبرنا ان الامير الحمداني ابها الهيجاء – وكان امير الموصل في سنة ٢٩٢ (٩٠٤) وتوفي في سنة ٤١٧ (٩٢٩) ابتنى على القبر قبة عظيمة مرتفعة الاركان من كل جانب لها ابواب وسترها بفاخر الستور وفرشها بثمين الحصر الساماني .

وجعل عليها حصارا منيعا ، على ان الاصطخري وابن حوقل ذكرا ان قبر علي في ايامهما كان في زاوية جامع الكوفة الكبير وقد ايد ذلك كثير من الثقافات وعززه غيرهم من المصنفين (٥١).

---

(٥١) جاءت في الاصطخري (ص٨٢) وقريب من الكوفة قبر علي (عليه السلام) وقد اختلف في مكانه فقيل انه في زاوية على باب جامع الكوفة اخفى من اجل بني أمية ، ورأيت في هذا الموضع دكان علاف ، ومنهم من زعم انه من الكوفة على فرسخين وعليه قنطرة (وفي نسخة ثانية : منظرة) وآثار المقابر . وقال ابن حوقل (ص١٦٣ ذي غويه = ٢٤٠كريمرز) وبالكوفة قبر أمير المؤمنين علي صلوات الله عليه ، ويقال انه بموضع يلي زاوية جامعها واخفى من اجل بني امية خوفا عليه ، وفي هذا الموضع دكان علاف ويزعم اكثر ولده ان قبره بالمكان الذي ظهر فيه قبره على فرسخين من الكوفة

وزاد المستوفى على ذلك قوله : ان في سنة ٣٦٦ (٩٧٧) شيد عضد الدولة البويهي الضريح الذي ظل قائما حتى ايامه (اي في ايام المستوفي) واصبح الوضع حينذاك مدينة صغيرة محيطها ٢٥٠٠ خطوة ، جاء في تاريخ ابن الاثير ان عضد الدولة دفن فيها عملا بوصيته ودفن فيها ايضا ابناه شرف الدولة وبهاء الدولة واقتفى اثره بعده كثير من اعيان القوم ، وفي سنة ٤٤٣ (١٠٥١م)احرق اهل بغداد الضريح وازالوا أثره (٥٢) وكانوا يشتدون في اضطهاد الشيعة على انه سرعان ما اعيد بناؤه فقد زاره ملكشاه ووزيره نظام الملك في سنة ٤٧٩ (١٠٨٦) .

وحينما كتب المستوفى في المائة الثامنة (الرابعة عشرة) قال ان غازان الايليخاني ، كان استحدث في مشهد علي دارا للسادة سميت بدار السيادة وأنشا خانقاه (تكية للصوفية) وذكر ياقوت قبل المستوفي بقرن ان النجف بظهر الكوفة كالمسناة تمنع مسيل الماء ان يعلو الكوفة ولكنه لم يشر الى المشهد وقدم الرحالة ابن بطوطة الى النجف في سنة ٧٢٦ (١٣٢٦) فقال في مشهد علي عليه السلام انه مدينة حسنة ودخله من باب الحضرة الفضة المؤدي رأسا الى الضريح واطنب في وصف اسواقها ومدارسها الجليلة كما اشاد بجامعها وفيه ضريح الامام علي وكانت حيطانه بالقاشاني .

---

(٥٢) حادثة الاحراق جرت على قبر الامام موسى بن جعفر كما في كامل ابن الاثير والمنتظم لابن الجوزي وكما ذكره نفسه لسترنج نفسه في كتابه عن بغداد .

وذكر ان المقعدين كانوا يبرأون من عاهاتهم في الروضة وسرد كشفا بكثير من قناديل الذهب والفضة التي نذرت لها ، وذكر ايضا انها مفروشة بانواع البسط من الحرير وسواه (٥٣).

ووصف الضريح نفسه فقال : في وسط القبة مصطبة مربعة مكسوة بالخشب عليها صفائح الذهب المنقوشة والمحكمة العمل المسمرة بمسامير الفضة ، ويفضى الى الضريح اربعة ابواب على كل باب ستار وعتبة وعليه ستور من الحرير الملون ، وختم ابن بطوطة حديثه بذكر الكرامات التي يضفيها الامام علي على المؤمنين الصادقين (٥٤)..

---

(٥٣) الاصطخري ٨٢: ابن حوقل ١٦٣ ، المقدسي ١٣٠ ، ابن الاثير ١٣:٩ و٤٣ و١٦٩ و١٩٤ ، ١٠ ، ١٠٣ ، المستوفي ١٣٤ ، ياقوت ٤:٧٦٠ ابن بطوطة ١: ٤١٤- ٤١٦ .

(٥٤) بلدان الخلافة الشرقية ص١٠٣١

٤٢- عبد علي خان اديب
(سنة ١٢٧٣هـ)

هو الابن الاكبر للحاج علي خان المقدم المراغي حاجب الدولة ، وشقيق محمد حسن خان اعتمادة السلطنة (صنيع الدولة) وامه بنت الملا احمد المراغي المعروف ب(مستجاب الدعوة) ولد في الخامس من شعبان سنة ١٢٤٣هـ في مراغة الايرانية ، عمل في صباه في خدمة البلاط الملكي في عهد محمد شاه القاجاري ، وكان رفيق الصبا مع ناصر الدين شاه، وعندما تسلم ناصر الدين العرش الملكي اصبح اديب الملك من رجال العهد الناصري في ايران وتولى ادارة الحكومة في قم وسمنان ومراغة ، وكان ايضا شاعرا ايضا وتوفي في ٢٨ ذي الحجة سنة ١٣٠٢هـ عن عمر ناهز الستين عاما

قام المؤلف برحلته هذه وهو ابن ثلاثين سنة مبتدئا فيها انطلاقا من طهران والعود اليها واستغرقت حوالي الستة اشهر فقد شرع بالحركة من طهران في ٤ من شهر محرم الحرام سنة ١٢٧٣هـ وعاد اغليها في شهر جمادي الثاني سنة ١٢٧٣ هـ

وفي رحلته تعرض لوصف الصحن العلوي المطهر يقول:

صحن امير المؤمنين عليه السلام :

يبلغ طول صحن امير المؤمنين اثنان وسبعون ذراعا وكذلك العرض ايضا وللصحن الشريف اربعة ابواب:

باب الطوسي، وهو الباب المقابل لايوان الذهب(٥٥) وكتيبة الايوان هي من الذهب ايضا وفوق تلك الباب توجد ساعة كبيرة جدا يسمع رنينها كل اهل النجف

والباب الثانية هي الباب الشرقية المقابلة لسوق بائعي العباءات(العبايجية)

والاخرى باب القبلة

والرابعة هي الباب الشمالية

عندما تدخل الى الصحن المطهر من باب الطوسي يواجهك ايوان الذهب ، ويقع امام الايوان حوض ماء مشهور باسم حوض الكوثر، وكان في السابق يتصل بقناة ماء ، حيث كان على الدوام مملوء بالماء، ولكن هذه القناة اصبحت مطمورة ويوجد وسط الحوض اربعون مصباحا من النحاس

ميلان المنارتين

والايوان والمنارتين والقبة المطهرة كلها مكسوة بالذهب ، وقد كساهمانادر(شاه) وقمة كل من المنارتين منحرف يراهما الجميع ، وقد تم تخريب القمتين واعادة بنائهما لكنهما بقيا على هذه الحالة، واصبح واضحا للناس انهما يبقيان بهذه الحالة حتى لو اعيد بنائهما الف مرة لانهما يميلان احتراما للرسول الاعظم فهما يقابلان الحرم النبوي الشريف

الدراسة في الصحن

(٥٥) هذا اشتباه منه فان باب الطوسي لايقابل الايوان الذهبي كما هو المشاهد للجميع الان ولعله يريد به باب الساعة كما يدل عليه بقية كلامه

عندما تدخل من الباب الاول يقابلك الرواق ، وقد شاهدنا ان هناك شيئا غريبا وهو انه بعد انتهاء صلاة المغرب يجتمع هناك حوالي الالف شخص او اكثر من الطلبة من بينهم حوالي الثمانين مجتهدا ، حيث يجلسون هناك كل ليلة للتباحث العلمي والدرس ، وقد انتفخت اوداجهم من الصراخ ، وهم يضربون بايديهم غير آبهين للمكان المقدس والجالسين فيه، وان الامام حي ، وانه عليهم ان لا يرفعوا اصواتهم بحضورة، ان الضجيج الذي شاهدناه يفوق ضجيج سوق الهرج في بغداد

الضريح المقدس

وينفتح من الرواق الى الداخل الروضة المطهرة بابان فضيان الى القبر الشريف من جهته تحت القدمين، القسم السفلي من الضريح مصنوع من الفضة، اما الضريح نفسه فهو مصنوع من الفولاذ ويستقر داخل الضريح صندوق من الخشب ومكان الاصبعين موجود على شكل محراب وتوجد السيوف والخناجر المرصعة بالالماس معلقة هناك ، ومن المشهور ان ادم ونوح عليهما السلام مدفونان في نفس الضريح

توجد داخل الضريح القناديل الكبيرة المصنوعة من الذهب والفضة وعددها حوالي الثمانية عشر قنديلا، ولكن القناديل الصغيرة كثيرة لا تحصى ، كما توجد هناك عدد من القناديل البرونزية التي تتدلى من سقف الرواق

خزانة المرقد الشريف

اما الخزانة فهي محفوظة في مكان خاص ، وتوجد نسخة من موجوداتها في ايران، ولكن يبدو ان لا احد يعرف موجوداتها

هناك نسخ كثيرة من القران الكريم ، ومنها ما هو مكتوب بخط امير المؤمنين ، والامام الحسن عليهما السلام ، وهما موجودان داخل الضريح ، اما بقية النسخ فهي موجودة في المكتبة، وهي مثبة في سجل لدى الشيخ محمد حسن بن محمد ابراهيم ارباب

حوض نجيب باشا والرواق

وعندما تدخل من باب القبلة يوجد على جهة اليسار حوض ماء وبئر حفره نجيب باشا والي بغداد، حيث يؤخذ الماء من البئرويملأ الحوض ليتوضأ منه الناس

ويتصل الرواق من جهة الرأس بجدار الصحن الشريف ويوجد هناك ممر ضيق مسقف(الساباط) يحتوي على حجرات ، وبعد عبور غرفتين توجد هناك تكية البكتاشية التي يجتمع فيها عدد من الدراويش الذين تنفق عليهم الدولة العثمانية، وهناك يجلس المرشد الديني الذي يدعى(دده)

القبور التي في الصحن

عندما تدخل من باب الشارع يوجد من جهة اليمين قبر(تاج الدولة) ومقابل قبر(الحاج الميرزا هادي الجواهري) الساكن في بغداد حيث اعد لنفسه مقبرة هناك، وفي الغرفة الثانية من جهة اليمين هناك قبر(الميرزا ابو الحسن خان ايلجي) وفي جهة اليمين من الضلع الثاني توجد غرفة يقع فيها قبر (شاه خليل المحلاتي وزوجته)

القبور التي في الرواق

اوصى المرحوم الشاه عباس ان يدفن واقفا تحت قدمي الامام عليه السلام ، فنفذوا وصيته ، ولكن السادن رأى امير المؤمنين في المنام يقول له: اضجعوا ولدي ، فاضجعوه وسط الباب ،

وهناك حجرة خاصة على جهة اليمين يقع فيها قبر(آقا محمد خان)و(والدة فتحعلي شاه) والى جانبها هناك غرفة دفن فيها (حسين علي ميرزا) حاكم فارس واولاده والى جانبه قبر(الحاج محمد مهدي والحاج مير محمد حسين) امام جمعة اصفهان

وبعد ذلك يأتي قبر(الحاج محمد ابراهيم القزويني) و(مجتهد اصفهان) وبعد تلك الغرفة هناك قبر (خان بابا خان الرئيس) الذي توفي اثناء حكمه لكرمان(٥٦)

---

(٥٦) العراق في مشاهدات ناصر الدين شاه القاجاري، ترجمة محمد الشيخ هادي الاسدي ، نشر مؤسسة آفاق للدراسات والابحاث العراقية، مجلة افاق نجفية العدد٢٤ سنة ٢٠١١ ص ١٦٤

٤٣- السلطان عبد المحمد ميرزا سيف الدولة

هو الحاج سلطان عبد المحمد ميرزا سيف الدولة وهو حفيد الشاه الايراني فتح علي شاه القاجاري ، تولى عدة مناصب في العهد القاجاري ، تولى عام (١٢٨٩ هـ) سدانة العتبة الرضوية ، وفي عام (١٢٩٩هـ) حصل على لقب سيف الدولة، وفي سنة ١٣٠٥ م، حاكما على ملاير وتويسركان ونهاوند ، قام برحلة عامة شملت العراق والقفقاز وتركيا والشام ومصرومكة المكرمة

قال في رحلته عند وصوله الى النجف:

سور النجف

لنجف قلعة بناها المرحوم الحاج محمد حسين خان الصدر الاصفهاني ، ومع انها ليست واسعة جدا ، الا انها حسنة وجيدة، وفي المدينة مدرسة بناها جيد أنشأها نفس الشخص المذكور، والباب الكبيرة المفضية الى ايوان الذهب الى الرواق المبارك وهي من انشاءه ايضا ، رحمة الله عليه فقد كان انسانا خيرا.

القبة والصحن والبهو

كانت اول قبة بنيت على الضريح، هي القبة التي سبقت عهد البويهين وقد تم ازالتها واعادة بنائها في عهد الصفويين ، اما العمارة الحالية فهي من آثار الشاه عباس الصفوي وبهندسة الشيخ البهائي وهو بناء محكم

اصل البقعة المباركة، مربع الشكل ، اما القبة المطهرة فهي اكثر ارتفاعا من كل الاماكن المشرفة، ويحيط الصحن بالرواق من ثلاث جهات، اما الجهة الغربية فيفصل الرواق عن جدار الصحن ممر

وللصحن حجرات في الطابق العلوي والسفلي ، وفي الطرف الغربي من الصحن تقع تكية البكتاشية.

ويقابل الحرم ايوان ترتفع مئذنتاه من جهتيه

وقد كسا نادرشاه القبة المباركة والايوان بالذهب ، اما الكاشي الموجود في اطراف الصحن فهو منآثار علي مراد خان الزند ، والضريح الفضي من آثار المرحوم آقا محمد خان القاجاري

وقد فتح السلطان مجيد خان بابا جديدة للصحن من جهة الغرب، وكانت احدى المنارات مهدمة فاعيد بنائها بامر السلطان عبد العزيز خان

داخل الحرم

يوجد داخل الحرم اثنين من القناديل الذهبية الكبيرة ، وهما من اهداء السلطان عبد المجيد خان واثنين من القناديل الاصغر ولكنهما اغلى ثمنا ، اوقفهما السلطان ناصر الدين شاه ، وهناك الكثير من الثريات والمعلقات والقناديل وهي من الذهب والفضة ، كما توجد المجوهرات وهي كلها من

هدايا الملوك والسلاطين وكلها موجودة داخل الحرم ، وفي الخزانة هناك عدد كبير من الجواهر والذهب والفضة ونسخ نفيسة من القرآن الكريم(٥٧)

(٥٧) العراق في مشاهدات ناصر الدين شاه القاجاري، ترجمة محمد الشيخ هادي الاسدي ، نشر مؤسسة آفاق للدراسات والابحاث العراقية، مجلة افاق نجفية العدد٢٤ سنة ٢٠١١ ص ١٦٤

٤٤- وداد السكاكيني
(١٣٣٢-١٤١١هـ/١٩١٣-١٩٩١م)

وداد بنت محمد سكاكيني، كاتبة وناقدة رائدة من مواليد صيدا في لبنان، تخرجت في كلية المقاصد الإسلامية في بيروت، وقد أمضت عشر سنوات من حياتها في التعليم، فقد عملت في المعهد العالي للبنات، ثم أقامت في سورية ومصر مع زوجها الأديب زكي المحاسني، بدأت حياتها الأدبية في مطلع الثلاثينيات، نشرت معظم أعمالها في القاهرة، وتوفيت في دمشق.



كتبت في رحلتها الى العراق :

ومضينا الى النجف يحدونا شوق الى امام العرب الذي طبع لغتهم بطوابع بلاغته وكان الفتى الاول في الاسلام واقرب الناس الى رسوله نسبا وعلما وجهادا وعند مدخل النجف تلقينا من بعيد لافتة للنظر بضرورة الحجاب للنساء، فان التبرج والسفور لايسمح بهما للغربيات والمقيمات على السواء ، فدارت العباءات على المدعوات قبل ان نقترب من جامع الامام

ودخلنا بخشوع وصمت ساحة واسعة تحيط بها ابنية عديدة وفي المشهد منارتان شامختان على جانبي سطحه صفائح من الذهب رقاق متوهجة وابواب المسجد مصفحة بالذهب ومن اعلى السقوف تدلت المصابيح والثريات وفوق المرقد وفي زواياه تيجان الملوك وكبراء من الهند وفارس، وعلى الحيطان نفائس السجاد والالطاف من هدايا المعتزين بحرمة المقام
والاقفاص المحيطة بضريح الامام ومراقد آل البيت قد صنعت قضبانها ومشابكها من الفضة وبعظها مطلي بالذهب ، واي زائر عربي لهذه المشاهد لابد ان يعود بالخاطر من فوره الى تاريخ اهلها الذي ضمتهم من الصالحين والشهداء فتأخذك الروعة من هول حوادثهم ونكباتهم لا مما يبهره من فخامة الزينة وبريق الطلاء والقناديل وزخرف القاشاني والخزف وغيره مما يدهش له الاجنبي الذي تتاح له الزيارة فيعجب لتألق المرايا والكريستال الذي يتلألأ في السقف ويطيل النظر الى المآذن والقباب دون ان يتسلل بشعوره ومحبته الى هيبة الراقدين من آل البيت والصالحين (٥٨)

(٥٨) موسوعة النجف الاشرف :ج٤ ص ١١٧

٤٥ - ريشارد كوك
(في أواسط القرن التاسع عشر)

مما يذكره ريشارد كوك (٥٩) صاحب كتاب (بغداد مدينة السلام) عن النجف في هذه الحقبة من السنين أن زوار النجف وغيرها من العتبات المقدسة كانوا يتواردون من إيران إلى بغداد باستمرار ، وقد بلغ عددهم في تلك السنة حوالي ستين ألف زائر كما يستنتج من عدد التذاكر التي أصدرتها السلطات التي كانت مسؤولة عن الحجر الصحي يومذاك في خانقين .

وفي ١٨٦٩ (١٢٨٦ هجرية) تعين في ولاية بغداد الوالي المصلح مدحت باشا فعمل على تجديد الولاية وحكومتها وإدخال الحياة العصرية إلى البلاد . غير انه اصطدم بأشياء كثيرة كانت تحول دون اقتران الكثير من أعماله بالنجاح الذي يعود بالمنفعة على البلاد ، فقد كانت البقعة الكبرى في طريقه هذا عدم تيسر المال اللازم لمشاريعه ، ولذلك فكر في جمعه بطرق ووسائل شتى . فكان من جملة ما فكر به في هذا الشأن أن يبيع التحف والنفائس الموجودة في خزانة النجف وغيرها من العتبات المقدسة ، غير انه لم يستطع تحقيق ذلك بطبيعة الحال . ويقول المستر لونكريك (٦٠)في هذا المقام انه لم يكن قادرا على تحقيق مشروع كان عزيزا عليه ، وهو بيع خزائن النجف وأنفاق مبالغها على الأشغال العامة . ويمكن أن نذكر بالمناسبة ما ورد في المراجع العربية عن بعض محاولاته المماثلة في الإصلاح : فقد أعلنت (٤) (٦١) الحكومة التركية على عهده في اوئل محرم الحرام سنة ١٢٨٧ أعلانا يمنع فيه أخراج مواكب العزاء الحسينية المعتادة ويحدد نطاقها . وحينما قدم

---

(٥٩)ص ٢٧٤ richard coke – baghad the cit y of peace London 1935

(٦٠)ص ٢٨٥ س الترجمة العربية ، ط ٢ .

(٦١)جريدة الزوراء ٤ محرم ١٢٨٦ .

إلى بغداد ناصر الدين شاه في طريقه لزيارة النجف وسائر العتبات سنة ١٨٧٠ (٢٨ شعبان ١٢٨٧) مكث في العراق حوالي ثلاثة أشهر ، وقد جرت خلال هذه المدة مفاوضات بينه وبين مدحت باشا حول الكثير من المسائل التي كانت معلقة بين البلدين . فكانت من جملة النقاط التي تم الاتفاق عليها قضية نقل الجثث من مسافات بعيدة ودفنها في النجف الأشرف .

٤٦- العشاري

العشاري هو حسين بن علي بن حسن بن محمد بن فارس العشاري البغدادي الشافعي نجم الدين أبو عبد الله .من أسرة علمية دينية كانت قد قدمت إلى بغداد من بلدة العشارة في سوريا. يعود أصله إلى العشارة وهي بلدة تقع على ضفة نهر الخابور وكانت تابعة في العهد العثماني إلى لواء دير الزور، ولد وتعلم ببغداد، وفي تاريخ ولادته خلاف إذ وجد رسالة كتبها باسم والي بغداد إلى الشريف مسعود بن سعيد بن زيد المتوفى سنة ١١٦٥هـ وهي بالتالي تناقض التاريخ الذي ذكره المرادي أنه ولد سنة ١١٥٠ هـ/١١٩٥م .

وكان من أساتذته الشيخ جمال الدين عبد الله ابن حسين السويدي البغدادي المتوفى سنة ١١٧٤ هـ وولده الشيخ عبد الرحمن السويدي المتوفى سنة ١٢٠٠ هـ وكان خطه جميلاً نسخ به كثيراً من الكتب .وله:

١- حاشية على شرح الحضرمية لابن حجر الهيتمي،

٢- حاشية على جمع الجوامع في أصول الفقه،

٣- رسالة في مباحث الإمامة،

٤- ديوان الشاعر العشاري .

رحلات العشاري الى العتبات المقدسة

قام العشاري بالرحلة الى العتبات المقدسة في العراق لغرض الزيارةوالتشرف بلثم الاعتاب المقدسة ، ومنها زيارة المرقد العلوي في النجف الاشرف ، وقد كانت له رحلتين الاولى عام ١١٨٢هـ ، وفي هذه الزيارة انشد عدة قصائد في مدح الامام علي عليه السلام

و في رحلته هذه صحبة خليل افندي ومحمد سعيد افندي(٦٢) فاغتنم فرصة المسير هذه في الطريق الى النجف بنظم مجموعة قصائد بحق الامام علي عليه السلام وحالما لاحت له القبة الذهبية للمرقد العلوي المطهر وقد مضى على تذهيبها ستة عشر سنة حيث ذهبت عام ١١٥٦ هـ ، ارتجل هذه الابيات الطريفة (٦٣)(من الطويل) :

لقبة مَولانا علي أشعة تغشي عَلى الأبصار وَالأعيُن الدعج
فَما هِيَ إلا بُرج فَضل وقَد بَد مُحيا أبى السبطين من ذَلكَ البُرج(٦٤)

و فيها ايضا يقول (من الطويل) :

وَقُبة مَولانا علي كَأنّها عَروس مِن الأتراك حَلَت عَن اللَمس
اناء نضار فيهِ شَمس مُنيرة وَأي نضار لا يضيء من الشَمس(٦٥

وفي سنة (١١٨٥هـ) تشرف بزيارة المرقد العلوي مرة اخرى ، فلما زار مرقده الشريف في النجف الاشرف ، قال مادحا الامام عليه السلام وذكر المنازل التي قطعها من بغداد اليه ، وقد أفادتنا هذه القصيدة في بيان طريق زوار مرقد امير المؤمنين عليه السلام القادمون من ايران وبغداد والمنازل التي ينزلونها وبعض الخانات التي اعدت للزوار ومن الممكن الاستفادة منها في معرفة مدى تطور الزيارة وأعداد الزوار في تلك الفترة من خلال التعرف على سعة الخانات

---

(٦٢) الشيخ محمد السويدي هو ابو عبد الله محمد سعيد بن عبد الله بن حسين السويدي العباسي البغدادي ، من شعراء العراق في القرن الثاني عشر كان معاصرا للعشاري وله شعر في رثاء الوالي احمد باشا بن حسين باشا المتوفي سنة (١١٦٠ هـ) اوردها اخوه في كتابه حديقة الزوراء في سيرة الوزراء الورقة ٢١٩ ، نسخة المتحف البريطاني، وله كتاب التقيد في احكام التقليد، وكتاب درة الابحار في علم الاشعار ذكره البغدادي في هدية العارفين ج٢ ص ٣٥٢، توفي سنة ١٢١٣هـ.

(٦٣) في الديوان ذكر ان هذه الرحلة كانت عام (١١٨٣هـ)

(٦٤) ديوان العشاري ، ص ٤٩٦، القصيدة رقم ١١٥، حرز الدين، تاريخ النجف الاشرف: ج٢ ص ٣١٥

(٦٥) ديوان العشاري ، ص ٤٩٦، القصيدة رقم ١١٦، حرز الدين، تاريخ النجف الاشرف: ج٢ ص ٣١٥

والسعي الى اعمارها وقد انشدها عند المرقد الشريف واستكتبها خلائق كثير (من الطويل):

إِلَيك توجهنا فَلاحَت لَنا البُشرى وَتَمت لَنا الدُنيا بِجاهك وَالأخرى
حَبسنا عَلى حر الهَجير نُفوسنا لأنا عَلِمنا أن سنوردها بَحرا
وَلَم نَصحب المسك الفَتيت لعلمنا بِكون ثَراكم فَوقَ أَرداننا عطرا
وَلَم نَحمل الدينار علما بِأَننا سَنلقط مِن حَصباء أَرضكم درا
وَما قَصدنا إِلا الحُضور بِحضرة عَلى عَرش بلقيس سما فَضلها قَدرا
وَرؤية قَبر قَد تضمن سَيداً هُوَ البَحر سمته العِباد لَنا حبرا
مَحل حَوى علما وَجوداً وَسُؤددا إِلى مُنتَهى الدُنيا تَدوم لَهُ الذِكرى
كَريم نجار مِن لُؤي بن غالب وَصَفوة عَدنان وَمن مضر الحَمرا
وَلَما قَصَدناه تَركنا عيالنا وَأَولادنا الأطفال وَالبَلدة الزورا
إِلى أن نَزَلنا الخَان أَول مَنزل وَنمنا وَصَلينا بِساحَته الظُهرا
وَمِن قَبل عَصر قَد شَدَدنا رِحالنا وَجئنا لبئر النصف وَالركب قَد سَرا
وَمن بَعد ذا جئنا إِلى الخان (٦٨) بَعد وَبتنا بِهِ وَالنَوم عَن مُقلَتي فرا

---

(٦٦) يعني خان آزاد وكان اول محطات الطريق بين بغداد والنجف ومحله على نهر اليوسفية بين بغداد والمحمودية وتعرف بقرية الحرية ، وقد وصفها السائح البريطاني بكنكهام في رحلته سنة (١٢٣٢ هـ/ ١٨١٦م) وقال : ان الخان نفسه يكفي لاستيعاب ما لايقل عن خمسمائة شخص داخل جدرانه (انظر: رحلة المنشىء البغدادي ، ص ٩٧، رحلتي الى العراق :ج ١ ص ٢٣٥).

(٦٧) بئر النصف: بئر مشهورة تلي خان آزاد ، وكان عندها خان ينزله المسافرون وذكر المنشيء البغدادي في رحلته ص ٩٧، وقال يبعد عن بغداد يستة فراسخ ، اشار اليه الرحالة البرتغالي بيدرو تكسيرا في اثناء مرورة بهذا الطريق سنة(١٠١٣هـ/ ١٦٠٤م) ، ويذكر بكنكهام : ان الاتراك يسمون هذا الخان بخان اورطة وتسميه العرب بخان يونس والتسمية الاخيرة سببها رواية تقول بان النبي يونس عليه السلام كان يستقي من البئر الذي عند الخان اثناء سفراته من نينوى واليها (رحلتي الى العراق :ج١ص ٢٣٧) وكانت هذه البئر ذات غور عميق ينزل الى مائها عى درجات وتبدو جد قديمة وشكلها يوحي بانها من آثار القرن العاشر او الحادي عشر للميلاد .

(٦٨) الراجح انه يريد خان الاسكندرية على الطريق بين خان بئر النصف وخان المحاويل وقد بني في القرن الثاني عشر (الثامن عشر الميلادي) على نفقة محمد حسين خان امير الدولة الايراني، لغرض راحة الزوار الذين بقصدون النجف وكربلاء وقد ذكره بكنكهام انه كان يكفي لاسكان الف شخص مرة واحدة ووصف يج عمارته بالتفصيل حيث بات فيه سنة (١٨٨٨م) (رحلتي الى العراق :ج١ص ٢٣٩، رحلات الى العراق :ج١ص ١٢٢م).

وَلَما بَدا الصُبح المُنير وَأَقبَلَت كَتائبه تَسعى بِرايته الشَقرا
نَهَضنا وَرَوَينا جَميع دَوابنا بلُطف وَصَلَينا بِجانبه الفَجرا
وَسرنا إِلى خان المَحاويل (٦٩) وَالهَو لِحب أَبي السبطين يقدمنا شَهرا
قُمنا بِهِ حَتّى أَتى العَصر فانثنت إِلى الحلة الفَيحا رواحلنا تَترى
نَزَلنا عَلى قَوم كِرام بِها نَشوا عَلى الجود وَالأَضياف في دورهم تَقرى
وَمِن بَعد ذا سرنا صَباحاً وَعِندنا مِن الشَوق ما يَستوعب السهل وَالوعرا
وَلَما أَتينا قَبر ذي الكفل وَانجلت لَنا عَن طَريق القَصد باقعة غَبرا
نَظَرت تجاه السائِرين أَشعة تَبين وَيَستخفي لَنا تارة أُخرى
فَزحزحت عَن عَيني الكَرى وَنَظَرت عَن نَواظر عَن صَنعا تَلوح لَنا بصرى
وَقالَت أَتلك الشَمس أَرخَت ثِيابها وَأَلقَت عَلَيها مِن أَشعتها سِترا
أَم انتَشَرَت نار الكَليم لِناظري عَلى طور سينا وَالفُؤاد بِها أَدرى
أَم البَرق في تِلكَ العراص تَلألأت لَوامعه حَتّى أَبان لَنا فَجرا
فَراجَعت خضر القَلب عَن دَرك ما أَرى يَبين لعَيني كَي أَحيط بِهِ خَبرا
فَقالَ إِذا أَخبَرتك اليَوم سره وَأَنتَ كَليم القَلب لَم تَستَطع صَبرا
فَقُلت وَلَو أَخبَرتَني لَوَجَدتَني صَبوراً وَلا أَعصي لما قُلته أَمرا
فَقالَ هُوَ القَصر المُنيف الَّذي عَلَت عَلى القبة الخَضراء قُبته الصَفرا
هُوَ المرقد السامي الشَريف الَّذي حَوى محيا أَبي السبطين وَالغرة الغرا
فالق العَصا في بابه وَأَنخ بِه قلوصك وَانزل عِندَ همته الكُبرى
فَهاجَت بِنا نار الغَرام وَقَد جَرَت مَدامع تصلي نارها وَجنَتي حرا
إِلى أَن أَتَت خان العقيل خيولنا وَبتنا بقرب البئر نستوجب البرا
وَلَما رَأَينا الفَجر سرنا بسرعة إِلى بَلدة ضَمت بِها الحَيدر الطهرا

---

(٦٩) خان المحاويل خان قديم على الطريق بين الاسكندرية والحلة ذكره بكنكهام انه كان مشابها لخان الاسكندرية في تصميمه العام وهو اكبر تقريبا منه ، وقد شيد من آجر قديم جيىء به من المناطق الاثرية المجاورة وكان العمل جاريا في اصلاحه اثناء زيارته له عام ١٨١٦م (رحلتي الى العراق :ج١ص ٢٤١).

نزَلنـــا بـــدار السـيد المُصـطَفى رأَينا بهـا الأفضـال وَالكَـرَم الـوفرا
كَريم لَهُ جود غَزير وَراحة تَصب عَلى الأضياف مِن وَبلِها قَطرا
وَمنها أَتينا حَضرة الطهر حَيدر وَقُمنا عَلى باب وَجدنا بِهِ اليُسرا
وَأَلقَت عَصاها وَاستقر بها النَوى (وَقَد حَمَدوا عِندَ الصَباح لَها المَسرى
تَقي نَشا في رَوضَة الدين سابِقاً إِلى الحَق والإِسلام كُل الوَرى طرا
وَلَم يَرَ شركاً كَرم اللَه وَجهه عَن الشرك وَالديان طَهره طهرا
فَدى المُصطَفى إِذ باتَ فَوقَ فِراشه وَأَعداء دين اللَه قَد أَظهَروا الشرا
فَباهى بِهِ الرحمَن جَل جَلاله ال مَلائكة الأبرار أكرم بِذا فَخرا
وَزَوَّجه الزَهراء فَوقَ سَمائه وَأَنقَدها مِن حُسن أَلطافه مَهرا
وَفي يَوم بَدر كَم أَباد بِسَيفه أئمة كفر مارسوا الحَرب وَالكُفرا
فَجدل مِنهُم كُل أَروع باسل وَأَصبح يَدعو نَحوه الطائر النسرا
وَيَوم حنين حينَ فَرّت كَتائب عَن المُصطفى وَالمُرتَضى القرم ما فرا
فَقام عَلى طَرف البَسالة ثابِتاً قَوياً وَلَم يَبرح عَن المُجتبى شبرا
وَفي غَزوة الأَحزاب أكرم بِه فَتى لَهُ الوَثبة الشماء وَالصدمة الكُبرى
وَبارزه عمرو فَأَرداه عاجلا وَأَورَده مِن كَأس صارمه خَمرا
وَمُذ لَمَعت مِن ذي الفقار لِطَرفه سَنا شُعلة قَد أَورَثَت ظَهره كَسرا
تَيقن أَن المَوت دارَت كُؤوسه عَلَيه بِلا شَك وَقَد فارَقَ العُمرا
وَرَدت إِلَيهِ الشَمس بَعدَ غُروبها فَصلى أَمير المُؤمنين بِها العَصرا (٧٢)

---

(٧٠) السيد مصطفى خليل من الرجال المعروفين في بغداد والحلة في القرن الثاني عشر، نزحت اسرته من حماة الى حديثة ثم الى بغداد وكانت له دار في الكرخ واخرى في الحلة ، وهو جد صالح بن اسماعيل صديق العشاري

(٧١)البيت لمعقر بن أوس بن حمار البارقي :

فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عينا بالإياب المسافر

(الطبري ٩ / ٢٥٩ ، البداية والنهاية ج ١٠ ص ١٠٠)

(٧٢)حديث رد الشمس أخرجه العلامة الطحاوي في مشكل الآثار ٢ / ٨ و ج ٤ / ٣٨٨ وأخرجه القاضي عياض في الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ٢٤٠ وصححه و أخرجه الحافظ الكنجي في كفاية الطالب ٢٤٠ وفي ط ٢٨٣ ووأخرجه الحافظ العسقلاني في لسان الميزان ٥ / ١٣٩ . وأخرجه أيضاً في فتح الباري ٦ / ١٦٨ وقال : رواه الطحاوي والطبراني في الكبير والحاكم والبيهقي في الدلائل . وأخرجه العيني في عمدة القاري شرح البخاري ٧ / ١٤٦ والحافظ السيوطي في جمع الجوامع كما في ترتيبه ٥ / ٢٧٧ .

وَفي خَيبَر أعطاه راية نَصره (وَعَممه في كَفه فسَما قَدرا
فَسارَ بِها وَالمُسلمون وَراءه فَصادف فَتحاً نالَ في ضمنه نَصرا
وَلَما أتى لِلباب وَالباب مُرتج دحاه بِكَف كفت الشَر وَالعُسرا
فَأَصبح ترساً في يَديه بِقوة سَماوية بشرى لِمعتقد بشرا
وَجدل مِنهم مَرحَباً وَهوَ ضَيغم وَلَكن مَولانا هُوَ الضَيغم الأجرا
وَبَلغ عَن خَير الأنام بَراءة فَكَم مِن سقام بَعد تَبليغه أبرا
وَقال الَّذي عَني يبلغ إنما فَتى هُوَ مِن بَيتي فَكانَ بِها أحرى
وَمُذ رَمدت عَيناه في خَيبر أتى إِلى المُصطفى المُختار خَير الوَرى طرا
وَمُذ تَفل المختار في الحال فيهما رنا الحَيدر الكرار عَن مقلة حورا
وَأمن مِن حر وَبَرد فَما رأى مَدى عُمره بَرداً مضراً وَلا حَرا
وَقَد طَلق الدُنيا ثَلاثاً وَلَو أتَت لَهُ بَعد ذا تَسعى لطلقها أخرى
وَقَد قالَ خَير الخَلق إني مدينة مِن العلم أنتَ الباب فاشكر لَنا شكرا
وَمَن كُنتُ مَولاه وَإن جل قَدره فَأنتَ لَهُ مَولى بِذا جاءَت الذكرى
وَإنك مني وَالنُبوة قَد مَضت كَهرون مِن موسى فارحب بِذا صَدرا
وَإنك أقضى القَوم فاحكم بِما تَرى عَلى الملة السمحاء وَالسنة الغرا
وَقَد قالَ مُذ آخى الصَحابة كُلهم لَأنت أخي في هَذِهِ الدار وَالأخرى
وَأدخله تَحتَ الكساء وَولده وَزَوجته حَتّى مَلا ضده ذُعرا

---

(٧٣)قال العلامة بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد العيني المتوفى (٨٥٥) في عمدة القاري ج ١٦ ص ٢١٥ : حدثنا قتيبة ، حدثنا حاتم ، عن يزيد بن أبي عبيد ، عن سلمة ، قال : كان علي قد تخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم في خيبر ، وكان به رمد ، فقال : أنا أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فخرج علي فلحق بالنبي صلى الله عليه وسلم ، فلما كان مساءا اليد التي فتحها الله في صباحها ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لأعطين الراية أو ليأخذن الراية غدا رجلا يحبه الله ورسوله أو قال : يحب الله و رسوله يفتح الله عليه فإذا نحن بعلي وما نرجوه فقالوا : هذا علي ، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ففتح الله عليه . قال العيني : قال علي فوضع رأسي في حجره ثم بصق في ألية راحتيه ثم دلك بها عيني ثم قال : اللهم لا يشتكي حرا ولا قرا ، قال علي : فما اشتكيت عيني لا حرا ولا قرا حتى الساعة . وفي لفظ دعا له بست دعوات ، اللهم أعنه واستعن به وارحمه وارحم به وانصره وانصر به ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه . وروى الحافظ ابن أبي شيبة في مصنفه ج ١٢ ص ٦٣ الحديث رقم : ١٢١٢٩.

وَلَو باهلوه بِالألى في كِسائه ... لَذاقوا وَبالا يدهش العَقل وَالفكر

وَإِن حَديث الطَير قَد صَح نَقله ... لمرتبة عليا وَمنقبة غرا

وَجاءَ وَقَد وَارى التُراب جَبينه ... وَكانَ مَغيظاً ضاقَ في حاله صَبرا

فَقالَ لَهُ مُستَرضياً قُم أَيا أَبا ... تراب فَقَد أَعلى الإِلَه لَكَ الأَجرا

مَراتب فَضل لا أَطيق لِبعضها ... حِساباً وَلا أَقوى لافرادها حَصرا

فَيا صاحب الفَضل الجَزيل الَّذي رَقى ... بِهِ فلك العَلياء حَتى غَدا بَدرا

أَتيناكَ يا غَوث الوُجود وَغَيثه ... إِذا اغبرت الخَضراء وَاسوَدت الغبرا

وَعَيبة علم اللَه ذا الحكمة الَّتي ... عَلى صَفحات الكَون أسطرها تقرا

وَصهر رَسول اللَه أَكرَم مُرسل ... وَزَوج البتول الطهر فاطمة الزَهرا

أَتيتك أَطوي البيد وَالبر مقفر ... وَقَد رمت الرَمضاء في مُهجَتي جَمرا

دَخيلاً عَلى أَعتاب بابك واقفاً ... أَروم لكسري يا ولي العُلى جَبرا

أَسير ذُنوب قَيدتني يَد الهَوى ... وَأَنتُم كِرام عِندكُم تنقذ الأَسرى

فَقير إِلى أَخذ النَوال وَأَنتُم ... غيوث أَيادي جودكم تذهب الفقرا

وَقَد ضامَني الدَهر الخَؤون وَلَم يَزَل ... يُعارض آمالي وَيُرهقني عسرا

وَقَد لذت بِالجاه العَريض الَّذي بِهِ ... تَلوذ أولو البَلوى فَيمنحهم برا

عَمى نَظرة مِنكُم لعبد أَتى لَكُم ... يُنادي بِأَعلى صَوته ضارِعاً جَهرا

وَذاك الحُسين المُلتجي لحماكم ... مِن الدَهر يَبغي مِن حمايتكم نَصرا

فَكونوا لَهُ وَارعوا محل جواره ... وَنَسبته أَكرم بِهَذا لَهُ ذخرا

أَتى بِمديح فاقبلوه تَفضلاً ... وَحلوه مِن أَفضالكُم حللا خَضرا

عَلى المُصطَفى صَلى الإِله مُسلماً ... مَدى الدَهر أَضعافاً مُضاعفة تَترى

وَأَشرف رُضوان لحضرتك الَّتي ... أَقمت بِها يَهدي لساحتها نَشرا(٧٤)

المصادر

---

(٧٤) ديوانه ص٢٤٢ رقم القصيدة ٣٤

١- رحلة مطراقي زادة

٢- الطريحي : محمد سعيد، العتبات المقدسة في الكوفة ص ١٧٤، ط٤ المجمع العلمي الفاطمي – اكاديمية الكوفة ٢٠١٠ هولندة

٣- رحلة أوليفيه الى العراق ترجمة د.يوسف حبي ،بغداد ١٤٠٨ه \١٩٨٨

٥- خطط الكوفة ورسم خريطتها ، تاليف المسيو لويس ما سينيون ، ترجمة : تقي محمد المصعبي ، تحقيق : د.كامل سلمان الجبوري ط ١ ١٣٩٩/ ١٩٧٩م مطبعة الغري الحديثة – النجف الاشرف

٦- نجيب العقيقي ، المستشرقون ، نشر دار المعارف بمصر

٨- رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، لأبي عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي ، من أعلام القرن ٨ ، طبع منشورات دار بيروت ، بيروت ١٤٠٥ هـ .

٩- رحلة ابن جبير الأندلسي (تذكره بالاخبار من اتفاقات الاسفار) دار بيروت للطباعة والنشر - بيروت .

١١- رحلات السيد محسن الامين العاملي ، محسن الامين العاملي - الغديؤ للدراسات والنشر ط١-٢٠١١

١٣- على ضفاف الفرات – الرحالة الليدي درور، ترجمة فؤاد جميل - نشر دار الوراق

١٦- مجلة افاق نجفية ، النجف الاشرف ، صاحبها ورئيس تحريرها الدكتور كامل سلمان الجبوري

١٥- مجلة الموسم ،اكاديمية الكوفة – هولنده، صاحبها ورئيس تحريرها الدكتور محمد سعيد الطريحي

١٧- رحلة الى شبه الجزيرة العربية والى بلاد اخرى مجاورة لها ، كارستن نيبور ،١-٢ دار الانتشار العربي - بيروت لبنان

١٩- موسوعة العتبات المقدسة ، جعفر الخليلي ج٦ ، النجف الاشرف / القسم الاول مؤسسة الاعلمي بيروت ط٢ ١٩٨٧ م
٢٠- العراق في مشاهدات ناصر الدين شاه القاجاري، ترجمة محمد الشيخ هادي الاسدي ، نشر مؤسسة آفاق للدراسات والابحاث العراقية،
٢١- ديوان العشاري

الفهرس

٢٥- يوسف هرمز(سنة ١٩٣٥م)

٢٦- السائح الهروي

٢٧ - قاد الفيلق البريطاني السادس

٢٨- جاك كاليبو ونيكول كاليبوا

٢٩- ديوايت (١٣٤٧هـ/١٩٢٨م)

٣٠- سلطان تابنده شاه

٣١- السنوسي

٣٢- احمد عارف الزين

صاحب مجلة العرفان اللبنانية

٣٣- الاستاذ محمد هاشم عطية

٣٤- الدكتور ابراهيم سلامة

٣٥- روكس بن زائد العزيزي

٣٦-سر واليس بج

٣٧- أوليفيه

٣٨- المطراقي

٣٩- ابن المستوفي

٤٠- فرج العمران (١٣٢١ ـ ١٣٩٨) هـ

٤١- كي لسترنج

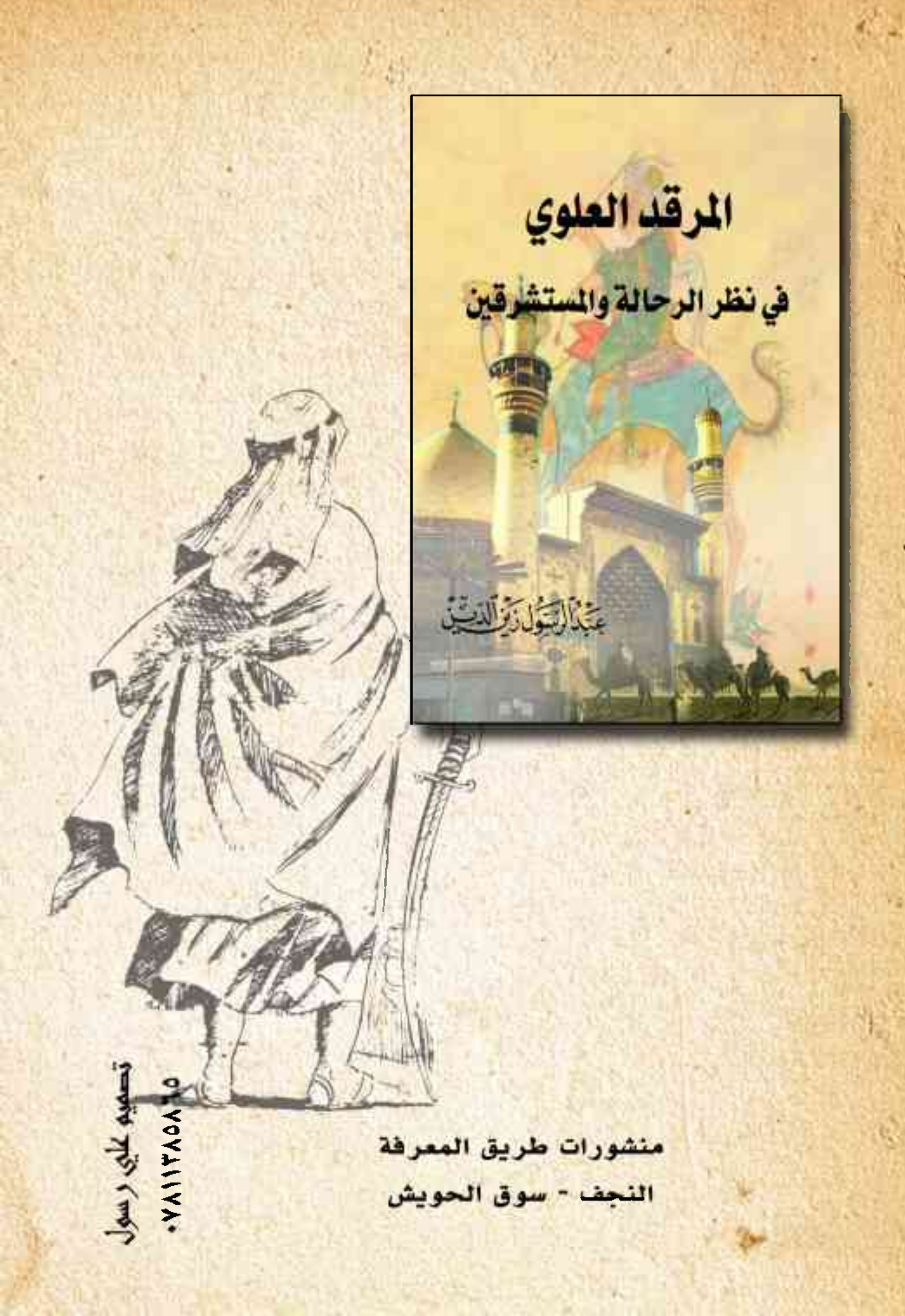
٤٢- عبد علي خان اديب (سنة ١٢٧٣هـ)

٤٣- السلطان عبد المحمد ميرزا سيف الدولة

٤٤- وداد السكاكيني (١٣٣٢-١٤١١هـ/١٩١٣-١٩٩١م)

٤٥ - ريشارد كوك (في أواسط القرن التاسع عشر)

٤٦- العشاري


المرقد العلوي
في نظر الرحالة والمستشرقين
عبد الرسول زين الدين
منشورات طريق المعرفة
النجف - سوق الحويش
تصميم علي رسول
٠٧٨١١٣٨٥٧٥